جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي–
كلية العلوم الإسلامية
قسم الحضارة

# الإعجاز القرآني في آيات الظل والظلال بين الرؤية العلمية والأسرار البيانية

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: لغة عربية ودراسات إسلامية

الطالبة: فتيحة نصبة

المشرف: د. ميلود عمارة

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|
| د. قويدر قيطون | أستاذ تعليم عالي | جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي | رئيسا |
| د. ميلود عمارة | أستاذ تعليم عالي | جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي | مشرفا ومقررا |
| د. ابتسام فارح | أستاذ مساعد ب | جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي | ممتحنا |

السنة الجامعية: 1445–1446هـ/2023–2024م

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي–
كلية العلوم الإسلامية
قسم الحضارة

# الإعجاز القرآني في آيات الظل والظلال بين الرؤية العلمية والأسرار البيانية

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: لغة عربية ودراسات قرآنية

الطالبة:
فتيحة نصبة

المشرف:
د. ميلود عمارة

## لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | الرتبة | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|
| د. قويدر قيطون | أستاذ تعليم عالي | جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي | رئيسا |
| د. ميلود عمارة | أستاذ تعليم عالي | جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي | مشرفا ومقررا |
| د. ابتسام فارح | أستاذ مساعد ب | جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي | ممتحنا |

السنة الجامعية: 1445–1446هـ/2023–2024م

**إهداء**

أهدي عملي هذا:

إلى الروح التي فارقتني.. إلى الغائب الحاضر.. أبي رحمه الله

إلى أمي الغالية..حفظها الله

إلى فرحة عمري ..زوجي وأبنائي

إلى من حبهم يسري في عروقي..إلى سندي وعزي وقوتي إخوتي وأخواتي

إلى رفيقات الدرب..صديقاتي

إلى كل من أنار دربي بالعلم

إلى كل من أنساني الشيطان ذكرهم

**شكر وعرفان:**

لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الدكتور الفاضل **ميلود عمارة** الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة وعلى كل ما قدمه لي من ارشادات وتوجيهات سديدة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي خلال هذا المشوار الدراسي والأساتذة أعضاء لجنة المناقشة فلهم مني خالص الاحترام والتقدير.

وأتقدم بالشكر لكل من ساهم ولو بكلمة طيبة أو دعاء صادق في إنجاز هذا العمل.

**ملخص البحث:**

هذا البحث الموسوم ب:"**الإعجاز القرآني في آيات الظل والظلال بين الرؤية العلمية والأسرار البيانية**، يهدف إلى الإجابة على إشكالية تتمحور حول: "الكيفية التي توافقت فيها النصوص القرآنية في آيات الظل مع الحقائق العلمية الحديثة"، وللإجابة عن هذه الإشكالية يستهل البحث بمفاهيم عامة حول الإعجاز والبيان، ثم يستعرض شرحا لآيات الظل في القرآن الكريم، وفي الجانب التطبيقي يقدم نماذج من آيات الظل يبرز فيها التوافق بين التفسيرات العلمية الحديثة وما ورد من بيان في القرآن الكريم، يخلص البحث من خلالها إلى أن الآيات القرآنية التي تتناول الظل تظهر إعجازا علميا وبيانيا متكاملا.

**Abstract**:

This research, which is tagged with: "Qur'anic miracles in the verses of shadow and shadows between scientific perspective and statement secrets, aims to answer a problem centred on: "How the Qur'anic texts in the verses of the shadow coincided with modern scientific facts," and to answer this problem, the research begins with general concepts about miracles and the statement, then reviews an explanation of the verses of shadow in the Holy Qur'an, and in the applied side, it presents models of shadow verses in which the compatibility between modern scientific interpretations and the statement in the Holy Qur'an is highlighted, through which the research concludes that the Qur'anic verses that deal with shadow show an integrated scientific and bimanical miracle.

**مقدّمة:**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته أجمعين أما بعد:

فتعتبر قضية الإعجاز القرآني من أبرز الموضوعات التي أثارت اهتمام العلماء والمفكرين عبر العصور، إذ يتجلى فيها التحدي الإلهي بإظهار العظمة والبلاغة والحكمة في آيات القرآن الكريم، ومن بين تلك الآيات هي التي تتحدث عن الظل وتنوع صوره وأشكاله، حيث تجمع بين الدقة العلمية والإبداع البياني بشكل لا مثيل له.

نسعى في هذه المذكرة الموسومة ب :"**الإعجاز القرآني في آيات الظل والظلال بين الأسرار البيانية والحقائق العلمية**" إلى استعراض مظاهر الإعجاز القرآني في آيات الظل، وذلك من خلال زاويتين متكاملتين :الرؤية العلمية والأسرار البيانية، في الجانب البياني سنستعرض كيف استطاعت الآيات القرآنية استخدام الظل كعنصر بلاغي لإيصال معاني عميقة، ونتناول الجانب العلمي بتحليل المفاهيم والظواهر الطبيعية المتعلقة بالظل كما وردت في القرآن.

**أولاً: إشكالية البحث:**

يتناول القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن الظل، تتجلى في هذه الآيات دقة التعبير البياني الذي يعكس جانبا من الإعجاز، يثير هذا التناول عدة تساؤلات حول الكيفية التي توافقت فيها النصوص القرآنية في آيات الظل مع الحقائق العلمية الحديثة، وما إذا كانت هناك أسرار بيانية تتجاوز الفهم العلمي التقليدي لهذه الآيات.

وهذه الإشكالية تتفرّع منها أسئلة متعددة وهي:

1-ما مفهوم الإعجاز والبيان؟

2-ماهو مفهوم الظل وماهي دلالاته في القرآن الكريم؟

3-كيف كانت معالم التوافق والتكامل في آيات الظل المختارة بين الملامح البيانية و الدقة العلمية؟

**ثانياً: أهمية الموضوع:**

1- تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها ستضيف قيمة للمعرفة المتعلقة بالقرآن.

2- ارتباط موضوع البحث بكتاب الله تعالى وبعلم من علومه –الإعجاز-

3- التأمل والتفكر و البحث في كتاب الله والاطلاع على ما كتب حديثا في موضوع الإعجاز.

**ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:**

تعددت الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، أهمها:

1- رغبتي في البحث في موضوع يتعلق بالإعجاز القرآني.

2- الرغبة في استكشاف أسرار القرآن البيانية والعلمية وبيان التوافق بينهما.

**رابعاً: أهداف البحث:**

1-رصد الظواهر والمفاهيم القرآنية التي تتضمن آيات الظل وتحليل كيفية تميزها وتفردها في تقديم الرسالة الإلهية.

2- يسعى هذا البحث إلى استكشاف مختلف جوانب الإعجاز القرآني في آيات الظل سواء في اللغة العربية وقواعدها اللغوية الفريدة أو التي تحمل الظواهر المعرفية الحديثة التي لم تكن في الزمان الذي نزل فيه القرآن.

**خامساً: الدراسات السابقة:**

تناولت موضوع البحث عدة دراسات ورسائل علمية تقاطعت مع بحثي في عدة نقاط ومن بين هذه الأبحاث أذكر ما يلي:

1_ بحث بعنوان: **"الظل في القرآن الكريم–دراسة أدبية–"** للدكتور عصمت أحمد محمد رضوان حاول فيها استنباط ملامح التصوير الفني في آيات الظل عن طريق دراسة أدبية في جانبي التحليل الموضوعي والتشكيل الفني.

2 _ بحث بعنوان "**آيات الظل في القرآن**" لصاحبته الدكتورة أمل كاظم زوير الزيدي نشر في مجلة التراث العلمي العربي في جامعة بغداد تناولت فيه البحث بدراسة موضوعية لأوصاف الظل.

وقد تقاطعت كلا الدراستين مع بحثي في أنهما لم يتعرضا للجانب العلمي واكتفيتا بالجانب الأدبي.

3 _بحث بعنوان **"إعجاز القران الكريم في وصف حركة الظلال (الظل الساكن)"** لصاحبه يحي وزيري جاءت هذه الدراسة في آيات الظل في سور محددة هي الرعد و النحل و الفرقان والتي تشير إلى وصف أسلوب حركة الظلال وما يرتبط بذلك من ملامح إعجازية متعددة، وقد اختلفت عن دراستي في أنها ركزت على إظهار الجانب العلمي في آيات الظل.

**سادساً: المنهج المتبع:**

اقتضت طبيعة بحثي اعتماد مناهج متعددة بحسب الجانب الذي نورده وهم على الترتيب:

1_ **المنهج الوصفي**: تم اعتماده في تعريف الإعجاز والبيان والظل وما تفرع منه.

2– **المنهج التحليلي الاستنباطي**: وذلك بتحليل الآيات محل البحث مع إضافة أقوال المفسرين والبلاغيين والعلماء واستنباط جمالياتها البيانية والعلمية.

**سابعاً: المنهجية المتبعة في البحث:**

1_ وضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين وعزوها في المتن، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية ووضعهما بين عارضتين، مع تغيير نوع الخط؛ تمييزاً لكلام الله تعالى عن كلام سائر البشر.

2_ اعتمدت مصادر متنوعة من معاجم لغوية وكتب تفسير، وكتب الغريب والمعاجم العلمية وكتب التراجم، وذلك لشرح غريب الألفاظ الواردة في البحث.

3_ بالنسبة للمصادر والمراجع فقد وثّقت المعلومات الواردةِ في المتن وفق الترتيب الآتي: ذكر المؤلَف والمؤلِف ثم دار النشر ثم بلد النشر ثم سنة النشر ثم الطبعة ثم الجزء ثم الصفحة المقتبس منها.

4_ التزمت الأمانة العلمية ما استطعت إليها سبيلاً.

5_ عند استعمال الكتاب في موضعيْن متتاليَيْن لا يفصلُ بينهما استعمال كتاب آخر، فإنّي أوردُ العبارة الآتية: المرجع نفسه ثم ارْدِفُهُ برقم الصفحة، هذا إذا كان الاستعمالان في الصفحة نفسها، أمَّا إذا كان الأول في صفحةٍ والثاني في صفحة أخرى، فإني أقول: المرجع السابق.

6-تمت ترجمة الاعلام الغير مشهورين في الحاشية وعزوت الترجمة إلى مصدرها.

7_ أثبت التاريخين الهجري والميلادي بالمصدر أو المرجع بالطريقة الآتية: التاريخ الهجري ثم التاريخ الميلادي، فإذا وجدت أحدهما فقط، فإني أثبت الموجود.

8-في الجانب النظري قمت بشرح جميع الآيات التي وردت فيها لفظة الظل، بينما اكتفيت في الجانب التطبيقي بالآيات التي وجدت عنها معلومات توصل إليها العلم الحديث.

**ثامناً: مصادر ومراجع البحث:**

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها في بحثي الآتي:

- أبو بكر الرازي، مفاتيح الغيب

• التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن عاشور،

• الكليات، أبو البقاء الكفوي

• جامع البيان، ابن جرير الطبري.

• عن التعبير البياني، فاضل السامرائي

• لسان العرب، لابن منظور.

•إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي.

•إعجاز وصف حركة الظلال في القرآن الكريم، يحي وزيري

**تاسعا: صعوبات البحث:**

أثناء إنجازي لهذا البحث واجهتني بعض الصعوبات، أحاول أن أجملها فيما يلي:

– صعوبة التفسير القرآني، فلا مجال إلاّ للعلم القائم على الأدلة، وتحري أقصى درجات الصواب، مع الإحاطة بعلوم اللغة.

– أن التعامل مع القرآن يحتاج إلى حيطة وحذر.

– صعوبة انتقاء المراجع في الجانب العلمي فرغم كثرتها إلا أنها تفتقر لضوابط التفسير العلمي.

**عاشرا: خطة البحث:**

اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحث تمهيدي ومبحثين أحدهما نظري والآخر تطبيقي ثم خاتمة، وهي الآتي:

**المقدمة:** بيّنت من خلالها إشكالية الموضوع وأهميته، وأسباب اختياره والأهداف المتوخاة منه، والدراسات السابقة له، والمناهج المتبعة لمعالجة مسائله، والمنهجية في كتابته، وذكر أهم مصادره ومراجعه، والصعوبات التي واجهت الباحث، وعرض لخطته.

**المبحث التمهيدي** تعرضت من خلاله إلى مفاهيم أولية حول: الإعجاز والبيان وقد اشتمل على مطلبين: المطلب الأول تطرقت فيه لمفهوم الإعجاز والمعجزة أما المطلب الثاني فقد تطرقت فيه لمفهوم البيان وإلى أهم مباحثه.

**المبحث الأول:** عنيت فيه بمفاهيم خاصة بالظل وما تفرع منه في الاستعمال القرآني في مطلبين، في المطلب الأول استخرجت جميع الآيات المشتملة على لفظ الظل وما اشتق منه وقمت بتفسيرها، وفي المطلب الثاني رصدت من جميع اشتقاقات لفظ الظل وشرحت ما حملته من دلالات.

**المبحث الثاني:** وهو المبحث التطبيقي، تطرقت فيه لآيات مخصوصة أبرزت فيها أهم الملامح البيانية والحقائق العلمية، من خلال ثلاثة مطالب: الأول خصصته لأسلوب التشبيه والثاني خصصته لبيان دقة الوصف والثالث أبرزت فيه جمال التعبير وبينت براعة التصوير، وقد أرفقت في هاته المطالب لكل دراسة بيانية ما وافقها من حقيقة علمية.

ثم ختمت البحث **بخاتمة** تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، وذيلتها بأهم التوصيات.

هذا وما كان من صواب في عملي فمن الله وحده سبحانه، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعواي أن الحمد لله ربِ العالمين.

# المبحث التمهيدي: مفاهيم عامة حول الإعجاز والبيان

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز والمعجزة

المطلب الثاني: مفهوم البيان وأساليبه

# المبحث التمهيدي: مفاهيم عامة حول الإعجاز والبيان

يبرز كل من الإعجاز والبيان عظمة القرآن الكريم وقدرته الفريدة على التحدي والتأثير، ومن خلال فهمنا لكل منهما نستطيع أن نقدر عمق وجمال القرآن الكريم، وندرك مدى التوازن بينهما.

## المطلب الأول: مفهوم الإعجاز والمعجزة

### الفرع الأول: المعنى اللغوي للإعجاز:

يأتي الإعجاز من الفعل الرباعي أعجز، وتدور مادة "عجز" حول معان متعددة:

يقول ابن فارس ((عجز: العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء، فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف. وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه. ويقولون: " المرء يعجز لا محالة ". ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. ولن يعجز الله – تعالى – شيء، أي لا يعجز الله – تعالى – عنه متى شاء، وفي القرآن: ﴿ أَنْ نَعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ [الجن: 12] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت: 22]، ويقولون: عجز بفتح الجيم. وسمعت علي بن إبراهيم القطان يقول: سمعت ثعلبا يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: لا يقال عجز إلا إذا عظمت عجيزته)).[1]

ويقول الراغب:((والعجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة[2].

[1] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ1979م، ج4، ص232.

[2] المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ط1 ، 1412هـ، ج1، ص547.

والإعجاز من مصدر الفعل الرباعي أعجز بمعنى الفوت والسبق. يقال أعجزني فلان، أي فاتني. وقال الليث: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه»[1].

وخلاصة القول أن هناك فعلان[2]:

الأول: فعل ثلاثي، تقول: عجز يعجز عجزا فهو عاجز بمعنى ضعف عن فعل الشيء، قصر عن التنفيذ، وتأخر عن العمل المطلوب ولم يقدر عليه

والثاني: فعل رباعي، تقول: أعجز، يعجز، إعجازا ،فهو معجز بمعنى سبق وفاز تقول: أعجز الرجل خصمه، بمعنى فاته وسبقه وفاز عليه وغلبه، بحيث لم يستطع الخصم العاجز إدراكه واللحاق به.

**الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي:**

الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق،[3] وإعجاز القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح، لا الإخبار عن المغيبات، ولا عدم التناقض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة، ولا إيجاز اللفظ أو كثرة المعنى وليس إعجازه لمعناه فقط، بل هو في المعنى تام كما هو في النظم، ولو كان حاصلا بدون النظم لم يكن مختصا بالقرآن، بل يكون بعض الأحاديث معجزا أيضا، وهذا خرق الإجماع وإفراد البشر بالذكر لمجرد التصدي للمعارضة وإلا فالمعجزة ما يكون خارجا عن طوق المخلوق والقرآن معجز من حيث

[1] ينظر تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص219.

[2] ينظر إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمان، ط1، 2000، ص15

[3] ينظر كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دط، 1403هـ -1983م، ج1، ص13.

إنه كلام الله مطلقا، لا من حيث إن بعضه كلام متكلم آخر حكاه الله بلفظه فإنه ليس يلزم أن يثبت له الاعجاز من هذه الحيثية.[1]

وقال الرافعي: ((وإنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه؛ فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.[2] وإعجاز القرآن: معناه: إظهار صدق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة- وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم عن ذلك، وذلك أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته، أو تشريعه، أو مغيباته)).[3]

**الفرع الثالث: المعجزة:**

يقول الجرجاني: ((تعرف المعجزة أنها أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله))[4].

وقال السيوطي: ((اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر

[1] ينظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي، عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالةبيروت، دط، ج1، ص150.

[2] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط8، 1425 هـ2005 م، ج1، ص98.

[3] ينظر الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية، دمشق، ط2 1418 هـ 1998 م، ج1، ص151.

[4] التعريفات، الجرجاني، ج1، ص2019.

كما صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)).[1]

## المطلب الثاني: مفهوم البيان وأساليبه:

### الفرع الأول: المعنى اللغوي للبيان:

البيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها. وبان الشيء بَياناً: اتَّضَحَ فهو بَيِّنٌ، والجمع أبيناء، مثل هين وأهيناء، وكذلك أبان الشيء فهو مُبينٌ[2].

وقيل في البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور، وقيل: معناه إن الرجل يكون عليه الحق، وهو أقوم بحجته من خصمه، فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه، لأن معنى السحر قلب الشيء في عين الإنسان وليس بقلب الأعيان، وقيل: معناه إنه يبلغ من بيان ذي الفصاحة أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله وحبه، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله وبغضه، فكأنه سحر السامعين بذلك.[3]

ومنه فإن البيان في معناه اللغوي يأتي على ثلاث معان وهي الفهم والكشف والظهور.

### الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي للبيان:

يقول الجرجاني: (( البيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه،[4] وهو بهذا المفهوم الذي حده به علماء البيان يختلف عن علم المعاني الذي

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط4، 1974 م، ج4، ص3.

[2] ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ،أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ1987م، ج5، ص2083.

[3] ينظر لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص69.

[4] كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، ج1، ص156.

يبحث في بناء الجمل وتنسيق أجزائها تنسيقا يطابق مقتضى حال الكلام، كما يختلف عن علم البديع الذي يبحث في وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة عليه»[1].

**الفرع الثالث: مباحث وأساليب البيان القرآني:**

يعد البيان القرآني من أهم جوانب الدراسات اللغوية، نظرا لما يحمله القرآن من إعجاز بياني ودلالي يتجلى في كل آية من آياته ولقد أثار القرآن الكريم منذ نزوله اهتمام العلماء والمفكرين على مر العصور، حيث سعى هؤلاء إلى استكشاف الأسرار البلاغية والدلالية التي يحتويها النص القرآني، وتختلف طرق التأصيل البياني للقرآن الكريم باختلاف المناهج التي يعتمدها الباحثون والتي تتنوع بين المناهج التقليدية التي تعتمد على علوم اللغة والبلاغة العربية وأساليبها المختلفة مثل التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من أدوات التعبير التي تبرز جمال النص القرآني ودقته وبين المناهج الحديثة التي تعتمد على العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلمية الحديثة، وفيما يلي سنأتي إلى إبراز بعض أساليب البيان التي لا يمكن حصرها:

**1-دقة ألفاظ القرآن:**

إن البيان القرآني المعجز دقيق دقة ملحوظة في اختيار ألفاظه، سواء أصولها الاشتقاقية أو سهولة حروفها وتناسقها أو روعة ايقاعها، أو بلاغة دلالاتها[2]

قال السكاكي : « فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق على أذنك إلا ومعناها أسبق على قلبك، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات، سليسة على الإسلاسات، كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة»[3].

[1] علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، ج1، ص10.

[2] ينظر إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص129.

[3] مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط، 1407 هـ - 1987 م، ج1، ص421.

كما أن عائشة بنت الشاطىء لا تقر بالترادف في ألفاظ القرآن فتقول: « شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلَّ أو كثر من الألفاظ»[1].

**2-روعة معاني ألفاظ القران:**

معاني ألفاظ القرآن في غاية الروعة وسمو البيان وبذلك يتكامل اللفظ والمعنى ويلتقيان على تحقيق بلاغة البيان القرآني المعجز، فهي متناسقة مع السياق الذي وردت فيه، وتلتقي مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية.[2]

ففي كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى، وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه، وفي كل حرف منه جزء بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله، وأوضاع جمله من آياته سر الحياة الذي ينتظم المعنى بأدائه، ضع يدك حيث شئت من المصحف، وعد ما أحصته كفك من الكلمات عدًّا، ثم أحصِ عدتها من أبلغ كلام تختاره خارجًا عن الدفتين، وانظر نسبة ما حواه هذا الكلام من المعاني إلى ذاك[3].

**3-جمال صور القرآن:**

البيان القرآني المعجز يستخدم طريقة التصوير في التعبير عن مختلف موضوعاته، وهذا التصوير جميل حيوي ومؤثر يضفي على الجمال القرآني جمالا وحيوية وروعة وجاذبية، ومعنى التصوير هو أن هذا القرآن يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخيلة فعندما يقرأ القارىء الآية ترتسم في خياله صورة فنية مجسمة متخيلة للموضوع الذي تتحدث عنه الآية، فكأنما القارىء يرى أمام عينيه مشهدا تلفزيونيا معروضا على شاشة خياله فيتأثر ويتفاعل، والتصوير القرآني إما أن تعرضه "صور" الألفاظ القرآنية وإما أن تلقيه ظلال تلك الألفاظ.[4]

**4- إقناع العقل وإمتاع العاطفة:**

---

[1] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن ، دار المعارف، ط1، ج1، ص215.

[2] ينظر اعجاز القرآن البياني ودلائل إعجازه الرباني، ص132.

[3] ينظر النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، ت أحمد مصطفى فضلية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع ،طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م، ج1، ص147.

[4] ينظر إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص 138.

يجمع القرآن الكريم بين التأثير العاطفي والمنطقي ليحقق توازنا عجيبا بين العقل والقلب، يقول عبد الله دراز: « وفي النفس الإنسانية قوتان قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها. فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا».

## 5-سمو النظم في القرآن:

القرآن الكريم كلام الله المعجز يتميز بنظم فريد وأسلوب بليغ يميزه عن أي نص آخر، يقول الجرجاني بعد تحليله لآية من القرآن: « فَتَرى لِشيءٍ من هذه الخصائصِ التي تملوك بالإعجازِ روعة، وتحضُرُكَ عندَ تصورِها هيبةٌ تُحيطُ بالنفس من أقطارِها تعلُّقاً باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ وحروفٌ تَتوالى في النُّطق؟ أم كلُّ ذلك لما بينَ معاني الألفاظِ مِنَ الاتِّساقِ العجيب؟

فقد اتَّضحَ إذن اتِّضاحاً لا يَدَعُ لِلشكِ مجالاً، أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ»[1].

إن الاختلاف في التأصيل البياني يعكس تنوع وجوه الإعجاز التي يزخر بها القرآن الكريم ولعل دراسة موضوع الظل في القرآن الكريم يعد نموذجا لاستعراض هذا التنوع، حيث يتجلى الإعجاز البياني من خلال تصوير هذه الظواهر الطبيعية بطرق تفوق قدرة البشر على التعبير.

[1] دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، 1413هـ - 1992م، ج1، ص46

# المبحث الأول: الظل وما تعلق به من مفاهيم

## المطلب الأول: مفهوم الظل لغة واصطلاحا

## المطلب الثاني: الظل وصوره في الاستعمال القرآني

# المبحث الأول: الظل وما تعلق به من مفاهيم

الظل هو أحد الظواهر الطبيعية في الكون، لكنه في القرآن الكريم استخدم للتعبير عن العديد من الدلالات والمفاهيم، فمن خلال هذا المبحث نتعرف على اشتقاقات الظل ومفاهيمه في اللغة والقرآن الكريم.

## المطلب الأول: مفهوم الظل:

### الفرع الأول: المعني اللغوي للظل:

الظل في اللغة له اشتقاقات كثيرة ومعان متنوعة نوردها فيما يلي:

قال ابن فارس: (( ظل: الظاء واللام أصل واحد، يدل على ستر شيء لشيء، وهو الذي يسمى الظل. فالظل: ظل الإنسان وغيره، ويكون بالغداة والعشي، والفيء لا يكون إلا بالعشي. وتقول: أظلتني الشجرة. وظل ظليل: [دائم]، والليل ظل ))[1].

وقال صاحب اللسان: ((الظل: نقيض الضح وظل الشيء: كنه وظل السحاب: ما وارى الشمس منه، وظله سواده، والشمس مستظلة أي هي في السحاب، وكل شيء أظلك فهو ظلة. ويقال: ظل وظلال وظلة وظلل مثل قلة وقلل. والظلة: الشيء يستتر به من الحر والبرد، وهي كالصفة، والظلة: الصيحة، والظلة بالضم كهيئة الصفة، وظلال البحر أمواجه لأنها ترفع فتظل السفينة ومن فيها)).[2]

ويقول الراغب الظل: ((ضد الضح، وهو أعم من الفيء، فإنه يقال: ظل الليل، وظل الجنة، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظل))[3]

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ج3، ص364.

[2] لسان العرب، ج11، ص415.

[3] المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ط1 ، 1412 هـ، ج1، ص535.

ويقال: ((ضحا الظل إذا صار شمسا، وإذا صار ظل الإنسان شمسا فقد بطل صاحبه ومات، وفي الدعاء: لا أضحى الله ظلك؛ معناه لا أماتك الله حتى يذهب ظل شخصك، وشجرة ضاحية الظل أي لا ظل لها لأنها عشة دقيقة الأغصان)).[1]

والظل الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أي شيء كان، وقيل: هو مخصوص بما كان منه إلى الزوال، وما كان بعده فهو الفيء.[2]

وجمع الظل: (ظلال) و(الظلال) أيضا ما أظلك من سحاب ونحوه، و (ظل) الليل سواده وهو استعارة لأن الظل في الحقيقة ضوء شعاع الشمس دون الشعاع فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل، وظل (ظليل) ومكان ظليل أي دائم الظل. وفلان يعيش في (ظل) فلان أي في كنفه و (الظلة) بالضم كهيئة الصفة، وقرئ: ﴿فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56)﴾ [يس:56]، و(الظلة) أيضا أول سحابة تظل. وعذاب يوم الظلة قالوا: غيم تحته سموم. و (المظلة) بالكسر البيت الكبير من الشعر، وعرش (مظلل) من الظل، و (أظلتني) الشجرة وغيرها، و (أظلك) فلان إذا دنا منك كأنه ألقى عليك ظله ثم قيل أظلك أمر، وأظلك شهر كذا أي دنا منك، و (استظل) بالشجرة استذرى بها.[3]

وقال الزمخشري: ((أظلني الغمام والشجر، وظللني من الشمس، وتظللت أنا واستظللت، وظل ظليل، وأيكة ظليلة، ويوم مظلّ: دائم الظلّ، وقد أظل يومنا، وقعدنا تحت ظلة وظلل، واتخذنا مظلة و مظال)).[4]

وفي الجمهرة الظل: ((معروف وهو في أول النهار فإذا نسخته الشمس ثم رجع فهو فيء حينئذ والظل: المنعة والعز. يقال: فلان في ظل فلان أي في عزه. والظلة: ما استظللت به من شيء شجرة أو غيرها)).[1]

---

[1] نفس المرجع، ج11، ص416.

[2] ينظر نفس المرجع،ج11، ص419.

[3] ينظر مختار الصحاح، ج1، ص196.

[4] أساس البلاغة، ج1، ص625.

وفي الكليات الظل: ((هو ما يحصل من الهواء المضيء بالذات كالشمس، أو بالغير كالقمر، والظل في الحقيقة إنما هو في ظل شعاع الشمس دون الشعاع، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل، والظل في أول النهار يبتدئ من المشرق واقعا على الربع الغربي من الأرض وعند الزوال يبتدئ من المغرب واقعا على الربع الشرقي من الأرض. والظل أيضا ضد الضح أعم من الفيء يقال: ظل الليل، وظل الجنة، وكل موضع لم تصل الشمس إليه يقال له ظل، ولا يقال فيء إلا لما زالت الشمس عنه (وهو من الطلوع إلى الزوال)،وقيل: الظل ما نسخته الشمس، وهو من الطلوع إلى الزوال والفيء ما نسخ الشمس، وهو من الزوال إلى الغروب وقيل: الظل للشجرة وغيرها بالغداة، والفيء بالعشي، ويعبر بالظل عن العز والمنعة والرفاهة والظل ما كان مطبقا لا فرجة فيه ودائما لا ينسخ)).[2]

ومنه فإن الظل في اللغة يقصد به معان كثيرة:

-الظل ستر شيء لشيء آخر، فضوء شعاع الشمس إذا استترت بحاجز ظل،

-والظل ما كان في أول النهار أي ما نسخته الشمس.

-والظل كنه الشيء

-والظل سواد الليل.

-والظل من الطلوع إلى الزوال، فما كان بعد ذلك فهو فيء.

-والظل ضوء شعاع الشمس دون الشعاع فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل.

-والظل نقيض الضح، والضح هو ضوء الشمس[3]

-والظل المكان الذي لم تنله الشمس.

---

[1] جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، 1987م، ج1، ص153.

[2] الكليات، ج1، ص595.

[3] مقاييس اللغة، ج3، ص359.

-وموت الشخص إذا ضحا ظله.

-وفي ظل فلان بمعنى في كنفه ورعايته.

-والظلة السحاب، وجمعها ظلل.

-والظلة ما يستتر به من الحر والبرد.

-والظلال أمواج البحر، ومفردها ظل.

-والظل العز والمنعة والرفاهة.

**الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي للظل:**

أما المعنى العام للظل في اصطلاح هاته الدراسة نسوقه فيما يلي:

قال الراغب: ((الظل هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس،[1] والظل في الحقيقة عدم الصبح وسمي سواد الليل ظلاً لعدم الصبح فيه والظلة كالصفة، والمظلة آلة يطلب بها الظل، و"أظل فلان علينا حقيقته " ألقى ظله علينا لدنوه منها واستعير الظل للمكان الذي فيه النعمة تصوراً له في اليوم الصائف حتى قيل: فلان في ظل فلان)).[2]

والظل ما نسخته الشمس، وهو من الطلوع إلى الزوال، وفي اصطلاح المشايخ: هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها التي هي معدومات ظهرت باسمه النور، الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها، فبستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها،

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ، 2000م، ج19، ص275.

[2] تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، ت: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، ط1، 1420هـ 1999م، ج1، ص200.

صار ظلًا لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان:45]أي: بسط الوجود الإضافي على الممكنات.[1]

وقيل ظِلّ مفرد والجمع أظْلال وظِلال وظُلَل أشعة ضوئيَّة تقع على جسم مُعتم يمنع نفوذَها، وقد يكنى بها عن ذات الشّيء.[2]

ومنه فإن الظل الذي نحن بصدد دراسته هو العتمة الحاصلة عند وقوع ضوء الشمس على الأجسام فينعكس شكل تلك الأجسام على الأرض، ويتحرك هذا الظلام تبعا لحركة الشمس.

والظل آية من آيات الله تعالى في الكون، وهو من دلالة كمال قدرته و ربوبيته، وتدبيره ولطفه بعباده، فهو من النعم التي جعلها لعباده ليقيهم حر الشمس ولهيبها، فقد ساق فيه من الأسرار التي تسترعي اهتمامنا، وتلفت انتباهنا، وتنبه عقولنا إلى عظمته وحسن تدبيره وتقديره.

**الفرع الثالث: الفرق بين الظل والفيء:**

كثيرا ما تتداخل دلالات بعض الألفاظ في اللغة العربية، وسبب ذلك أن يكون المعنيان متقاربين أو أن يكون جهلا من مستعملي اللغة بالفرق بينهما، ومثال ذلك لفظي "الظل" و"الفيء"، وقد فرق أرباب اللغة بينهما ونوجز ذلك فيما يأتي:

يقال: ((فاء الظل يفيء فيئا إذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه، وتفيؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاب النهار))[3]

---

[1] ينظر التعريفات، ج1، ص144.

[2] ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ 2008م، ج2، ص1437.

[3] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1994م، ج3، ص65.

وقال القرطبي ((الظل بالغداة والفيء بالعشي، لأنه يرجع بعد زوال الشمس، سمي فيئا لأنه فاء من المشرق إلى جانب المغرب. قال الشاعر، وهو حميد بن ثور[1] يصف سرحة وكني بها عن امرأة" فلا الظل من برد الضحا تستطيعه * ولا الفيء من برد العشي تذوق"

وقال ابن السكيت: ((الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس، وحكى أبو عبيدة عن رؤية قال: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو في وظل، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل)).[2]

ويقول الرازي: ((الفيء في اللغة هو رجوع الشيء إلى ما كان عليه من قبل، ولهذا قيل لما تنسخه الشمس من الظل ثم يعود: فيء، وفرق أهل العربية بين الفيء والظل، فقالوا: الفيء ما كان بالعشي، لأنه الذي نسخته الشمس والظل ما كان بالغداة لأنه لم تنسخه الشمس وفي الجنة ظل وليس فيها فيء، لأنه لا شمس فيها))[3]

كما أن الظل و الفيء لهما ارتباط وثيق بمواقيت الصلاة ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر، والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء من حجرتها»[4].

وفي حديث جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفيء قدر الشراك، ثم صلى العصر حين كان الفيء قدر الشراك وظل الرجل، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر، ثم صلى من الغد الظهر حين كان الظل طول

---

[1] حميد بن ثور الهلال هو من بنى عامر بن صعصعة شاعر إسلامي مجيد، ينظر الشعر والشعراء، مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423 هـ، ج1، ص378.

[2] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ- 1964م، ج13، ص37.

[3] مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج6، ص429.

[4] الجامع المسند، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم أحمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1422هـ،ج1، ص114، رقم: 520.

الرجل، ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه قدر ما يسير الراكب سير العنق إلى ذي الحليفة، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء إلى ثلث الليل أو نصف الليل -شك زيد- ثم صلى الفجر فأسفر»[1]

وعَنْ عَمْرو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيّ[2] رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله، أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ فإن الصلاة محضورة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإنه حينئذ تُسجَّر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلِّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار».[3]

فقد ذكرت هذه الأحاديث لفظي الظل والفيء مفرقة بين معنييهما وهذه الأحاديث استدل بها العلماء عن بعض أوقات الصلاة، وكانت أبرز الإشارات التي اعتمدت عليها هاته الأحاديث في تحديد وقت الصلاة هي الظل والفيء.

ومن خلال هاته الدلالات نستنتج الفرق بين الظل والفيء في النقاط التالية:

-الظل هو المساحة المظلمة التي تتكون بسبب حجب جسم ما لأشعة الشمس، ويكون عادة في أول النهار، من الطلوع حتى تتوسط الشمس في كبد السماء.

---

[1] المجتبى من السنن ، السنن الصغرى، أبو عبد الرحمان، النسائي، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ 1986م، ج1، ص260، رقم524.

[2] عمرو بن عبسة، بن خالد بن حذيفة، الإمام الأمير، أبو نجيح السلمي البجلي، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من السابقين الأولين روى أحاديث، كان من أمراء الجيش يوم وقعة اليرموك، ينظر: تاريخ دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، ت عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ-1995م، ج46، ص266.

[3] المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري ،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ج1، ص569، رقم832.

-يمكن أن يكون للظل مصادر من غير الشمس كظل الدخان الأسود كما سيأتي بيانه، أما الفيء فمصدره الوحيد هو الشمس.

-الفيء هو نوع خاص من الظل يظهر بعد منتصف النهار ويعد الظل الذي يعود بعد أن كانت الشمس في كبد السماء.

- الفيء يبدأ بالظهور عندما تبدأ الشمس بالميلان نحو الغرب.

-في الفقه يتم الاعتماد على مفهوم الفيء الذي يرتبط بتحديد مواقيت صلاتي الظهر والعصر.

وبالتالي فإن الفرق الرئيسي بين الظل والفيء يتمثل في توقيت ظهورهما ومصدر تكوينهما فالظل يمكن أن يتشكل في أي وقت من اليوم ويعتمد على أي مصدر ضوء، بينما الفيء خاص بمرحلة معينة من اليوم تتعلق بموقع الشمس بعد الزوال.

## المطلب الثاني: الظل وصوره في الاستعمال القرآني:

وردت كلمة الظل وما تصرف منها في القرآن الكريم واحدا وعشرين مرة في صور وأوجه مختلفة وهي الآتي:

### الفرع الأول: تظليل الغمام:

هذا المفهوم يشير إلى النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل عند خروجهم للصحراء مع موسى عليه السلام حيث يذكر القرآن الكريم أن الله تعالى ظلل عليهم بظلال السحاب لحمايتهم من حرارة الشمس القاسية وقد جاء هذا المفهوم في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة:57 ]وفي سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: 160]، يقول البيضاوي: "وَظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ سخر الله لهم السحاب

يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه)).والغَمامُ: السَّحابُ لأنه يَغُمُّ وجهَ السماء، أي يستُرُها، وكلُّ مستورٍ مغموم أي مُغَطًّى، وقيل: الغمامُ: السحابُ الأبيضُ خاصةً، ومثلُه الغَيْمُ والغَيْن بالميم والنونِ، وفي الحديثِ «إنه لَيُغَانُ على قَلْبِي» ، وواحدتُه غَمامةٌ فهو اسمُ جنسٍ)).[1]

ففي هذا المقام جاء تظليل السحاب على بني إسرائيل نعمة ورحمة لهم من الله عز وجل دلالة على لطفه وكرمه بهم.

**الفرع الثاني: الظلل:**

جاء لفظ الظلل في آيات عدة، وفي كل مرة جاءت تحمل دلالات مختلفة عن غيرها وفيما يلي الآيات التي ذكرت فيها ومعانيها:

يقول تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ **[البقرة:210 ]**، يقول الراغب: ((أي: عذابه يأتيهم، والظلل: جمع ظلة، كغرفة وغرف، وقربة وقرب)).[2]

ويقول ابن عاشور:((الظلل) بضم ففتح اسم جمع ظلة، والظلة تطلق على معان والذي تلخص لي من حقيقتها في اللغة أنها اسم لشبه صفة مرتفعة في الهواء تتصل بجدار أو ترتكز على أعمدة يجلس تحتها لتوقي شعاع الشمس، فهي مشتقة من اسم الظل جعلت على وزن فعلة بمعنى مفعولة أو مفعول بها مثل القبضة بضم القاف لما يقبض باليد)).[3]

وقال أهل اللغة معناه يأتيهم اللَّه بما وعدهم من العذاب، والحساب كما قال: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر:2]أي آتاهم بخذلانه إياهم.

[1] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج1، ص369.

[2] المفردات في غريب القرآن، ج1، ص536.

[3] التحرير والتنوير، ج2،ص284.

وقال الرازي: ((فاعلم أن الظلل جمع ظلة، وهي ما أظلك الله به، والغمام لا يكون كذلك إلا إذا كان مجتمعا متراكما، فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم، فكل قطعة ظلة، والجمع ظلل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَوجٌ كَالظُلَلِ﴾ [لقمان:32] وقرأ بعضهم إلا أن يأتيهم الله في ظلال من الغمام فيحتمل أن يكون الظلال جمع ظلة، كقلال وقلة، وأن يكون جمع ظل وإذا عرفت هذا فنقول: المعنى ما ينظرون إلا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام))[1].

ومن هذه التوضيحات والشروحات يتبين أن معنى الظلل في هذه الآية هو العذاب الذي سيأتي فيه الله تعالى لأولئك اليهود العصاة، بغض النظر عن الصفة التي سيأتي فيها.

وفي سورة لقمان جاء لفظ الظلل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:32]، موج كالظلل أي: كقطع السحاب[2]

وَإِذا غَشِيَهُمْ علاهم وغطاهم، مَوْجٌ كَالظُّلَلِ كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما[3]

يقول ابن جرير:((موج كالظُلل، وهي جمع ظُلَّة، شبَّه بها الموج في شدة سواده كثرة الماء، وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل. وقوله: ﴿دَعَوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[لقمان :32]،يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئا، ولا يدعون معه أحدا سواه، ولا يستغيثون بغيره. قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِ﴾

[1] مفاتيح الغيب، ج5، ص360.

[2] مفردات غريب القرآن، ج1، ص536.

[3] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج4، ص217.

[لقمان:32]مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البرّ، ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [لقمان:32]قول: فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه، وهو مع ذلك مضمر الكفر به"[1].

ومنه فإن الظلل في هذا السياق تشير إلى شيء كبير، ضخم ومرتفع قد يكون كالسحاب أو قطع السحاب الكثيف الذي يحجب الرؤية وقد جاءت لوصف مشهد من مشاهد الطبيعة بهدف إظهار مدى الفزع والرهبة التي تصاحب ذلك اليوم.

أما معنى الظلل من قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[الزمر:16] وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[الزمر:16] يقول ومن تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه لَهُمْ: ﴿مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:41] يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد[2].

أي أنها أطباق من النار من ظلل الآخرين فإن لجهنم دركات كما أن للجنة درجات، وسمى النار ظلة بغلظها وكثافتها فصارت محيطة بهم من جميع الجوانب حائلة من النظر إلى شيء آخر.[3]

إذن الظلل في هذه الآية تشير إلى النار التي تحيط بالكافرين من كل جهة وهي توحي بشدة العذاب الأليم الذي ينتظرهم وسيأتي تفصيل هذه الآية في الجانب التطبيقي.

---

[1] جامع البيان، ج20، ص156.

[2] ينظر جامع البيان، ج21، ص272.

[3] غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن النيسابوري، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416 هـ، ج5، ص619.

**الفرع الثالث: الظل:**

جاء لفظ الظل في آيات متعددة واتخذ صورا مختلفة منها ما دلت على معناه الحقيقي المعروف ومنها ما اتخذ صورا مجازية دلت عن معان أخرى وفيما يلي نورد الآيات التي ذكرت هذه النماذج المتنوعة من الظل :

**أولا: الظل النافع:**

هذه الآيات جاءت كلها تحمل أوصاف الظل المحمود في يوم القيامة وهي كالتالي:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء:57]

وقال: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ [الرعد: 35]

وقال: ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [يس: 56]

وقال: ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: 30]

وقال: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الانسان:14]

وقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات:41]

تعتبر كلها أوصاف تشير إلى الراحة والنعيم الذي ينتظر المؤمنين في الآخرة وهي تعبر عن الراحة العظيمة حيث يكون هذا الظل رمزا لرضا الله وكرمه وجزاه لمن اتقوه واحسنوا العمل في الدنيا، وسيأتي تفصيل كل آية لوحدها في المبحث التطبيقي.

**ثانيا: الظل الضار:**

وهذه أوصاف أخرى لظل يوم القيامة ولكنها تخص الظل المذموم الذي حضره الله تعالى للعصاة من عباده وهي كالتالي:

قال عز وعلا: ﴿ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة:44، 43]

وقال: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) ﴾ [المرسلات:30، 31]

وهذه الآيات يصف فيها الله تعالى هذا الظل بأنه ظل لا يوفر الراحة ولا يقي من اللهب على عكس الظل الذي نعرفه في الحياة الدنيا والذي يكون باردا ومريحا، وهو من عذاب أهل النار والذي سيأتي تفصيله.

**ثالثا: ظل الدنيا:**

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد:15] تشير الآية إلى سجود كل ما في السماوات والأرض لله بما في ذلك الظلال مما يعكس الخضوع الكامل لله تعالى.

وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [النحل:48] وفي هذه الآية أيضا إشارة إلى خضوع الظلال وكل من في الكون لله سبحانه وتعالى وذلك يكون بانتقالها من جهة إلى أخرى.

وقال: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: 81]، أما في هذه

الآية الكريمة فيذكر الله عز وجل أن من نعمه التي أنعم بها على عباده توفيره للظلال التي تقيهم الحر، وهي من تمام النعم عليهم.

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا(45) ﴾ [الفرقان:45]وهذه الآية تتحدث كيف أن الله يمد الظل ثم يقبضه ويجعله دليلا على حركة الشمس فيثبت بذلك قدرته على تدبير الأمور وعلى تحريك الكون بدقة.

وقال: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24] وجاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام في وقت الضيق و الإبتلاء وبعد أن سقى للمرأتين وتوجهه إلى الظل طالبا للراحة.

وقال: ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر:21]، من خلال هذه الآية يوضح الله تعالى الفروقات الواضحة بين الحالات المتناقضة وهي مقارنات تهدف إلى جعل الناس يدركون الفروق بين هذه الحالات فتدفعهم إلى اختيار طريق الايمان والنور وتركهم لطريق الكفر والظلام.

وفي هذه الآيات نجد أن القرآن الكريم يستخدم الظلال في سياقات متعددة أغلبها تدل عن الظل المعروف في حياتنا اليومية، أو بمعنى قريب منه.

**الفرع الرابع: الظلة:**

في التعريفات قال الجرجاني: (( الظلة: هي التي أحد طرفي جذوعها على حائط هذه الدار وطرفها الآخر على حائط الجار المقابل))[1]. وقال الراغب والظلة: سحابة تظل، وأكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره[2] .

[1] التعريفات، ج 1،ص144.

[2] المفردات في غريب القرآن، ج1، ص536.

وقد جاءت هذه المفردة في موضعين وكل منهما يحمل دلالة مختلفة عن غيرها ففي الموضع الأول جاءت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:171]

وتعني الظلة هنا سقيفة وهي كل ما أظلك[1]، وقيل الظلة كل ما أظلك من سقف بيت أو سحابة أو جناح حائط[2] وقال ابن عاشور الظلة السحابة[3]،

وفي قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:189]

يعني بالظلة هنا: سحابة ظللتهم، فلما تتاموا تحتها التهبت عليهم نارا، وأحرقتهم، وبذلك جاءت الآثار.[4]وقال الواحدي: "وذلك أنَّ الحرَّ أخذهم فلم ينفعهم ماءٌ ولا كَنٌّ فخرجوا إلى البرِّيَّة وأظلَّتهم سحابةٌ وجدوا لها برداً واجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا به".[5]

وقال الزجاج:"سحابة أَظَلَّتْهُم، فاجتمعوا تحتَها مستجيرين بها مما نالهم من حَرِّ ذلك اليوم ثُمَّ أَطْبقَتْ عَلَيْهِمْ فكان من أعظم يوم في الدنيا عَذَاباً".[6]

[1] ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص41.

[2] ينظر الوسيط في تفسير القرآن المجيد،ج2، ص423.

[3] ينظر التحرير والتنوير،ج9، ص165.

[4] ينظر جامع البيان،ج13، ص393.

[5] الوجيز، ج1، ص796.

[6] معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1408 هـ 1988م، ج4، ص98.

إذن هذه الآية يذكّر الله تعالى فيها الناس بعذاب يوم الظلة الذي أنزله على قوم شعيب والذي كان عذابا شديدا وعظيما بسبب تكذيبهم لرسولهم وإصرارهم على الكفر، وقد أجمع المفسرون على أن الظلة هنا تشير إلى الغمامة أو السحابة التي تحمل العذاب.

ومنه فإن الظلة في الآيتين تحمل معنيين مختلفين فالأول جاءت في مقام التهديد والثاني جاء في مقام العذاب.

إن إيجاد العديد من المعاني والتدليلات في القران الكريم هو جزء من جماله وعمقه فهو يستخدم اللغة والأسلوب لنقل الرسالة بشكل معبر وفريد.

# المبحث الثاني: الملامح البيانية والحقائق العلمية في آيات الظل المختارة

المطلب الأول: جمال وحسن التشبيه

المطلب الثاني: الدقة في الوصف

المطلب الثالث: جمال التعبير وبراعة التصوير

# المبحث الثاني: الملامح البيانية والحقائق العلمية في آيات الظل المختارة

تعد آيات الظل من الآيات القرآنية التي تبرز جوانب متعددة من الإعجاز تجمع بين الجانب البياني والجانب العلمي بأسلوب بليغ ومؤثر وتصور صورا بديعة ومعان عميقة تبرز عظمة القرآن في جمعه بين الدقة العلمية والجمال البياني.

## المطلب الأول: جمال وحسن التشبيه:

التشبيه أحد الأساليب البلاغية التي تستخدم في إجلاء المعاني وتوضيحها، وهو في اصطلاح البلاغيين؛ الدّلالة على اشْتِرَاك شيئين في وصف من أوصاف الشَّيْء الْوَاحِد فِي نَفسه[1]،وهو وسيلة فعالة لجعل النصوص الأدبية أكثر جمالية وجاذبية، وهو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس.[2]

وفي القرآن الكريم يظهر التشبيه بشكل بارز في نقل المعاني بطريقة تلهم التأمل والفهم العميق وتعكس عمق المعاني والدلالات، ويستخدم أيضا للتعبير عن الحقائق بطريقة بديعة تعزز النقل الفعال للرسالة الإلاهية.

وقد اجتهد البلاغيون في دراسة التشبيه في آيات القرآن الكريم ووضعوا له تقسيمات وأركانا وأغراضا وذلك بحسب تذوقهم له وتفاعلهم معه، لكننا في هذا المبحث لسنا بصدد تفصيل هذه الزوايا لأن في تفصيلها عدول عن لب موضوعنا وسنكتفي بإبراز ما يمس الآيات التي نحن بصدد دراستها.

[1] ينظر الكليات، ج1، ص270.

[2] ينظر النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني، ت :محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3،1976م،ج1، ص80.

ومن خلال التتبع لآيات الظل نجد أن هناك آيتين احتوت على تشبيهين نأتي في هذا المبحث إلى إبراز أهم خصائصهما البيانية وحقائقهما العلمية.

**الفرع الأول: الملامح البيانية:**

**يقول تعالى:** ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:171].

والمعنى كأنه عليهم ظلة والظلة ما أضلل من سقيفة أو سحاب وينبغي أن يحمل التشبيه على أنه بظلة مخصوصة لأنه إذا كان كل ما أظل يسمى ظلة فالجبل فوقهم صار ظلة وإذا صار ظلة فكيف يشبه بظلة فالمعنى والله أعلم كأنه حالة ارتفاعه عليهم ظلة من الغمام وهي الظلة التي ليست تحتها عمد بل إمساكها بالقدرة الإلهية وإن كانت أجراما بخلاف الظلة الأرضية فإنها لا تكون إلا على عمد فلما دانت هذه الظلمة الأرضية فوقهم بلا عمد شبهت بظلة الغمام التي ليست بلا عمد، وقيل: اعتاد البشر هذه الأجرام الأرضية ظللا إذ كانت على عمد فلما كان الجبل مرتفعا على غير عمد قيل: كأنه ظلة أي كأنه على عمد[1]

ويقول الرماني في بيان التشبيه الوارد في الآية: "وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إل ما قد جرت به العادة ، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة ، وفيه أعظم الآية لمن فكر في مقدورات الله تعالى عند مشاهدته لذلك أو عمله به ليطلب الفوز من قبله، ونيل المنافع بطاعته".[2]

ففي الآية الكريمة يبين الله تعالى كيف نتق الجبل تحذيرا لبني إسرائيل موجها إليهم رسالة قوية مفادها أنهم سيتلقون العقاب والنقمة ما لم يوفوا بميثاقه الذي واثقهم به و يستجيبوا لما أمرهم ، فكما أن الجبل يظهر بصلابته وقوته ،فإن توجيهات الله وعقوباته تظهر عظمته وقوته.

[1] ينظر البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ت:صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، ج5، ص217.

[2] ينظر النكت في إعجاز القرآن ، ج1، ص83.

فهنا بيَّن التشبيه في الآية ما لم تجرِ به العادة، وهو رفع جبل الطور فوق رءوس اليهود بما جرت به العادة، وهو الغمامة، أو المظلة، وذلك لتأكيد وتقرير هذا الأمر الحاصل.[1]

وهذا نوع من التشبيه يستخدم لتسليط الضوء على شيء ما يتميز بالغرابة أو بالخارق عن طريق مقارنته بما هو مألوف أو متوقع، ،وهو تشبيه مرسل لذكر أداة التشبيه فيه ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه فأسهم ذلك في إثارة التشويق الاهتمام.

وقد كانت براعة الاختيار ظاهرة في استخدام لفظ الظلة والذي تناسب مع نتوق الجبل، حيث تظهر هذه المفردات الصلابة والاستقرار الذي يوفرهما الجبل جاءت لفظة الظلة لتوفر الراحة والحماية والرحمة ،فظهر التناغم بين الصورتين مما جعل التشبيه أكثر قوة وجاذبية.

هذا ما ذكره الرماني في معنى التشبيه، وهو تشبيه ما لم تجر به العادة، إلى ما جرت به العادة، كأنَّ التشبيه كان لغرض تقريب المعنى، وتصوير الغريب كأنه قريب، وذلك في تشبيه الجبل مرتفعًا كأنه ظلة، وهذا المعنى في ذاته صحيح ...فالتشبيه بالظلة للدلالة على الإحاطة، وتصويره لهم كأنه نازل بهم واقع عليهم، ليعرفوا أنَّ ميثاق الله له رهبته، وأن عليهم طاعته، ولذلك قال سبحانه بعد أن رأوا الجبل مرفوعا عليهم وأنه محيط بهم.[2]

وإذا أنت تأملت أسلوب الآية الكريمة وجدت هذا التعبير أقوى من أن يقال: وإذ صار الجبل كأنه ظلة، لما في كلمة «نتق» من تصوير انتزاع الجبل من الأرض تصويرا يوحى إلى النفس بالرهبة والفزع، ولما في كلمة «فوقهم» من زيادة هذا التصوير المفزع وتأكيده في النفس، وذلك كله يمهد للتشبيه خير تمهيد، حتى إذا جاء مكن للصورة في النفس، ووطد من أركانها... فهو يوحى بالإحاطة بهم، وشمولهم، والقرب منهم قرب الظلة من المستظل بها، وفي ذلك ما يوحى بخوف سقوطه عليهم[3]

[1] ينظر البلاغة البيان والبديع، ج1، ص90.

[2] ينظر المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، دار الفكر العرب، ج1، ص182.

[3] ينظر من بلاغة القرآن، ص154.

ومما سبق يتبين أن استخدام كلمة "ظلة "في هذا السياق دون غيرها من الصيغ المشتقة منها يعد معجزة لغوية في القرآن الكريم، حيث يظهر لنا الله تعالى في هذه الآية القيمة الكبيرة للكلمة وقدرته على اختيار الألفاظ المناسبة لتوصيل المعاني بأقصى درجات الفعالية والجاذبية وذلك بالاعتماد على اللغة بما فيها من مفردات وتراكيب ودلالات وهكذا كانت استخدامات اللغة مظهرا من مظاهر الاعجاز البلاغي الذي يؤكد على أصالة وفضل القرآن كلام الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم.

أما عن التشبيه من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32]

يقول تعالى ذكره وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر -إذا ركبوا في الفُلك- موج كالظُلل، وهي جمع ظُلَّة، شبَّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء... وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل.[1]

وشبه القرآن الموج في موضعين، فقال: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: 42]وقال: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان:32]، وسر هذا التنويع أن الهدف في الآية الأولى يرمى إلى تصوير الموج عاليا ضخما، مما تستطيع كلمة الجبال أن توحى به إلى النفس، أما الآية الثانية فتصف قوما يذكرون الله عند الشدة، وينسونه لدى الرخاء، ويصف موقفا من مواقفهم كانوا فيه خائفين مرتاعين، يركبون سفينة تتقاذفها الأمواج، ألا ترى أن الموج يكون أشد إرهابا وأقوى تخويفا إذا هو ارتفع حتى ظلل الرؤوس.. فلما كان المقام مقام رهبة وخوف، كان وصف الموج بأنه كالظلل أدق في تصوير هذا المقام وأصدق.[2]

[1] جامع البيان تأويل القرآن، ج20، ص156.

[2] من بلاغة القرآن، ج1، ص155.

وفي هذا التعبير القرآني لطيفة من لطائف البلاغة القرآنية وهي تشبيه الواحد بالجمع وفي هذا يقول الشوكاني: ((لأن الموج يأتي شيئا بعد شيء، ويركب بعضه بعضا. وقيل: إن الموج في معنى الجمع لأنه مصدر، وأصل الموج: الحركة، والازدحام، ومنه يقال: ماج البحر، وماج الناس)[1]، وفي تشبيهها بالموج فلسوادها وعظمها وكثافتها)).

يقدم التشبيه في هذه الآية صورة حية ومفصلة تمثل حركة الموج وعظمته موحيا بقوة وسرعة هذا الموج في البحر عندما يغشى الناس "كالظلل" بالإضافة إلى أنها تعكس الحجم والكثافة والتغطية، وقد جاء تشبيه الموج بالجبال في قوله تعالى:﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود:42]، إلا أن لكل تشبيه مقامه ولكل معنى مقصده.

فالآية التي كان فيها المشبه به ( الجبال ) كان المراد منها بيان الشكل والهيئة وبيان طغيان الماء وعلوه وارتفاعه؛ لأنه ماء نزل من السماء وماء خرج من الأرض فالتقى الماء على أمر قد قدر[2].

أما الآية التي ذكر فيه تشبيه الموج بالظلل مصورة للعذاب ولا يكفي في ذلك مجرد بيان الحجم بل لابد من ذكر ما يرهب ويخيف ولا شك أن تصوير الموج على أنه ظلة يعلو الرؤوس أهلع وأخوف من مجرد التشبيه بالجبل القائم في مكانه، لهذا لما أريد ذكر الجبل في جانب العذاب ذُكرت له حاله خاصة كما في قوله تعالى:( وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) فنرى هنا في هذه الآية أن الجبل شبه بـ(ظُلة) وهذا يعني أن الظلة أشد في التخويف من مجرد ذكر الجبل ،وذكرت معه كلمة (فوقهم) لأنه في العادة لا يكون كذلك، بل يكون بجانبهم.[3]

لقد كان هذا التشبيه أحد النماذج الكثيرة في القرآن الدالة على حسن اختيار الكلمة لمكانها المناسب، وتمكنها من موضعها وتلاءمها مع المعنى المراد، وبلوغ المقصد بلوغا دقيقا.

[1] فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، ج4، ص281.

[2] ينظر صفحة معلمو اللغة العربية في الوطن العربي، التشبيه التمثيلي، 25 أكتوبر2014م، س10:16.

[3] المرجع نفسه.

**الفرع الثاني: الحقائق العلمية:**

**أولا: الدلالة العلمية في تشبيه الجبل بالظلة:**

معجزات الأنبياء هي الأحداث الغير العادية التي تحدث بواسطتهم بإذن الله تعالى لتدعم رسالتهم وتؤكد صدقهم كدعاة لله، وتتنوع هذه المعجزات بين القدرة على النبوءة والشفاء العجيب والمعجزات الطبيعية مثل فتح البحار والسيطرة على بعض الظواهر الطبيعية، وغالبا ما تأتي لتحقيق أمور غير ممكنة بوسائل طبيعية، وتعتبر هذه المعجزات دليلا قاطعا على ثبوت رسالتهم وعلى وصدق دعوتهم إلى الله.

بالإضافة إلى ذلك تعتبر معجزات الأنبياء علامات على وحدانية الله وعلى عظيم قدرته وهي تعزز إيماننا بالرسالة السماوية إذ إن من الأركان الأساسية للإسلام هو الإيمان بالأنبياء والرسل .

وفي زمننا الحالي يعتمد الكثيرون على العلم والتكنولوجيا في تفسير الظواهر الغير مفهومة، ومعجزات الأنبياء غالبا ما تكون محط تساؤلات بين العلماء والباحثين، محاولين إعطاء تفسيرات علمية لهذه الأحداث ولكن غالبا ما تكون محدودة، لأنها تواجه تحديات تعتبر خارقة وتفوق القوانين الطبيعية المعروفة والمنطق العلمي الحالي.

وفيما يخص معجزة نتق الجبل وجعله كأنه ظلة حاول البعض تفسيرها أنها عمليات جيولوجية معقدة أو كانت نتيجة تفجير طبيعي لصخرة الجبل بسبب زلزال محلي، أو نشاط طبيعي في باطن الأرض، وقد اختلف العلماء والمفسرون فيما إن كان الجبل قد رفع حقيقة أم أنه قد تزعزع وتزلزل فقط، فهذا الإمام ابن عاشور يلمح إلى كون الجبل قد اهتز بقوله: (( وعدي واقع بالباء للدلالة على أنهم كانوا مستقرين في الجبل فهو إذا ارتفع وقع ملابسا لهم ففتتهم، فهم يرون أعلاه فوقهم في سفحه، وهذا وجه الجمع بين قوله فوقهم وبين باء الملابسة وجعل بعض المفسرين الباء بمعنى "على"))[1]

[1] التحرير والتنوير، ج9، ص165.

وقوله في تفسير رفع الطور في سورة البقرة: (( فلعل الجبل من شدة الزلازل وما ظهر حوله من الأسحبة والدخان والرعود صار يلوح كأنه سحابة، ولذلك وصف في آية الأعراف بقوله: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ [الأعراف:171]، (نتقه: زعزعه ونقضه) حتى يخيل إليهم أنه يهتز.. وليس في كتب بني إسرائيل ولا في الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن الله قلع الطور من موضعه ورفعه فوقهم وإنما ورد ذلك في أخبار ضعاف فلذلك لم نعتمده في التفسير.))[1]

ويوافق هذا القول الإمام الشعراوي بقوله: ((«نتقنا» كأن الجبل وتد في الأرض ونريد أن نخلعه فنحركه يمينا ويسارا حتى يمكن أن يخرج من الأرض، هذه الحركة والزحزحة والجذب هي النتق. . والجبل كالوتد تماما يحتاج إلى هز وزعزعة وجذب حتى يخرج من مكانه.. وهذه الصورة عندما حدثت خشعوا وسجدوا وتقبلوا المنهج)).[2]

وإذا واصلنا مع هذا الافتراض، وأن الجبل لم يرفع وإنما زعزع وزلزل ببني إسرائيل وهم فيه فأصبحوا يرونه كأنه ظلة، فكيف كان ذلك؟

يرى بعض علماء الجيولوجيا أن ما يجعل قمة جبل تنخلع من مكانها هو اندفاع غازي فائق لبركان، ومنه فإن علم الجيولوجيا الفيزيائية يذكر نوعا من الحمم البركانية تكون شديدة اللزوجة وبمجرد خروجها من فوهة البركان تتصلب، فيكون الجبل أشبه بامرأة حال مخاضها فيشكل فوق الجبل قبة واضحة شديدة التماسك تسمى القبة البركانية التي يصل ارتفاعها إلى 200متر وقد تستمر عملية الاستطالة من داخل البركان لعدة سنوات[3].

[1] المرجع السابق ج1،ص541.

[2] تفسير الشعراوي ، الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم،ج1، ص377.

[3] الصفحة الرسمية لموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة، من صور هيمنة القرآن الكريم وإعجازه العلمي في نتق الجبل، هاشم الطويل، 2021/04/20.

فلو كان الجبل له زاوية ميل ثم اندفاع غازي جانبي أطاح بالقبة البركانية لترتفع متماسكة كما القوس في المكان الواقف فيه بنو إسرائيل في ذات الوقت الذي رفضوا فيه التوراة.[1]

هكذا كانت معجزة نتق الجبل ببني إسرائيل آية من آيات الله أظهرها تخويفا لهم ولتذكيرهم على العمل بالتوراة، وتصديقا لموسى عليه السلام.

**ثانيا: الدلالة العلمية في تشبيه الموج بالظلل:**

تشبيه الموج بالظلل في القرآن الكريم يعتبر أحد الأمثلة التي يشيد بها الإعجاز البلاغي وأيضا العلمي، ومن الملاحظ أن هذا التشبيه يتناسب تماما مع المعرفة الحديثة عن البحار وتكوّن الموج ،حيث يظهر تأثير الظلل الكثيفة والمتلاحقة للموج على الرؤية وكأنها تحجب النور و تخفي الطريق، مما يوحي تماما بمظاهر الظلمة التي تحيط بالكافرين.

ويرى علماء البحار أن سبب هذا الموج تيار البحر واتجاه الريح، فتنشأ موجة تشبه الظلة ثم يستمر هذا التصادم فتنشأ موجة أخرى فوقها ثم موجة ثالثة ثم موجة رابعة بسبب سرعة الريح القوية فيكون الموج على شكل موجة واحدة متراكبة فوق بعضها كما ذكر الله تعالى في الآية، ويكون هذا الموج ذو القمم المتراكمة على بعضها مع وجود فجوات تحتها على شكل ظلل.

والقران الكريم أتى معبرا على هذا النوع من الموج بأدق الألفاظ الموضحة لذلك فعبر عن الموج "غشيهم موج" ووصف شكله "كالظلل" ولم يقل كالظلة لأنه عبارة عن عدة ظلل متتابعة.[2]

[1] المرجع السايق.

[2] ينظر الاعجاز في تقسيم الرياح البحرية، صالح بن عبد القوي السنباني، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤتمر العاشر، ص149,150.

إن الدقة في اختيار الألفاظ من العادات البديعة في القران الكريم والتي تظهر القدرة على التحليل العميق للظواهر الطبيعية بطريقة تجسد دقة علمية تثبت أن القران ليس مجرد كتاب ديني بل يحتوي على مفاهيم تتماشى مع الاكتشافات والأبحاث الحديثة .

## المطلب الثاني: الدقة في الوصف:

يعتبر الوصف من أهم الأساليب اللغوية الفعالة التي تستخدم في توصيل المعاني والتعبير عن الأشياء والمفاهيم بشكل دقيق ومفصل، فهو يعتبر جزءً أساسيا من اللغة يجسد الصورة في ذهن المتلقي، وهو أداة مهمة في إثراء التفاصيل وتعميق الفهم مما يضفي على النصوص طابعا فنيا وجماليا يعزز قوة الاقناع ويجعل النص أكثر إلهاما.

وتعد الدقة والشمولية في الوصف من أبرز السمات التي تميز بها القرآن الكريم، حيث أنه يتضمن وصفا دقيقا ومتقنا لكثير من الأمور والأشياء المختلفة، سواءً أن كانت طبيعية كونية أو حسية أو معنوية، ((كان الأسلوب القرآني المقدس متميزا في هذا المجال فقد سعى إلى وصف هذه الحقائق لإثبات حقائق أخرى قائمة عليها...ليثبت للإنسان هذا الوجود وأنه هو الخالق الواحد الأحد)).[1]

وقد أبدع الخالق في ذكر الظل وما تفرع من لفظه في آيات كثيرة في القرآن الكريم واصفا إياه بين النعمة والنقمة، وبين المحمود والمذموم، جاعلا لكل صنف منه ما يناسبه من الصفات.

وفي هذا المطلب نأتي إلى تحليل الآيات التي ذكرت فيها أوصاف ظل أهل الجنة وظل أهل النار مع إبراز أهم اللمسات البيانية والحقائق العلمية.

### الفرع الأول: الملامح البيانية:

### أولا: ظلال أهل الجنة:

[1] الوصف في القرآن الكريم دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الأمير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ط1، ص27.

تنوعت وتعددت أوصاف ظل أهل الجنة في القرآن الكريم فقد وصف جل وعلا ظل الجنة بأنه ظليل في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:57]، ووصفه في آية أخرى بأنه دائم، وهي قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:35]، وفي أخرى وصف هيئة أهل الجنة في تلك الظلال بأنهم متكئون مع أزواجهم على الأرائك وهو قوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس:56].

وجاءت أيضا بالجمع في قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41)﴾ [المرسلات:41]، ووصفه في سورة الواقعة بأنه ممدود وهي قوله: ﴿ظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة:30]، وقد وصفها تعالى بالدنو في قوله ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان:14].

وفيما يلي نأتي إلى تحليل هذه الأوصاف:

**1- وصف الظل بالظليل:**

في وصفه جل ثناؤه للظل بالظليل من قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:57]، قال صاحب الكشاف:((دلالة على ثبوت هذه الصفة واستمراريتها وهي صفة مشبهة تفيد ثبوت معناها لمن اتصف بها، يقول الزمخشري:((ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه، كما يقال: ليل أليل، ويوم أيوم، وما أشبه ذلك، وهو ما كان فينانا

لا جوب فيه، ودائما لا تنسخه الشمس، وسجسجا لا حر فيه ولا برد، وليس ذلك إلا ظل الجنة.»[1]

والظل مما تجد النفس عنده الطمأنينة، وتشعر لديه بالهدوء والغبطة يلجأ إليه السائر في حرّ الظهيرة، فيجد راحة نفسه وهدوء قلبه، وكأن القرآن بهذا الوصف يعقد مباينة تامة بين النار الملتهبة لا يجد فيها الإنسان مأوى من لظاها، وبين الجنة ذات الظل الوافر الظليل.[2]

وقال ابن عاشور قوله: «وندخلهم ظلا ظليلا هو من تمام محاسن الجنات، لأن الظل إنما يكون مع الشمس، وذلك جمال الجنات ولذة التنعم برؤية النور مع انتفاء حره. ووصف بالظليل وصفا مشتقا من اسم الموصوف للدلالة على بلوغه الغاية في جنسه، فقد يأتون بمثل هذا الوصف بوزن فعيل: كما هنا، وقولهم: داء دوي، ويأتون به بوزن أفعل: كقولهم: ليل أليل ويوم أيوم، ويأتون بوزن فاعل: كقولهم: شعر شاعر، ونصب ناصب»[3].

وقد تضمنت الآية ضربا من ضروب البلاغة وهو جناس الاشتقاق في لفظي ظل وظليل وهو من المحسنات البديعية التي زادت في ثراء المعنى، كما أن في الكلام كناية عن رفاهية العيش.

### 2- وصف الظل بالدائم:

أما في وصف الظل بالدائم من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:35]، يقول الرازي في هذا الوصف: «اعلم أنه تعالى وصف الجنة بصفات ثلاث: أولها: تجري من تحتها الأنهار، وثانيها: أن أكلها دائم، والمعنى: أن جنات الدنيا لا يدوم ورقها وثمرها ومنافعها، أما جنات الآخرة فثمارها دائمة غير منقطعة، وثالثها: أن ظلها دائم أيضا، والمراد أنه ليس هناك حر ولا برد ولا

[1] الكشاف، ج1، ص523.

[2] ينظر بلاغة القرآن، ص288.

[3] التحرير والتنوير، ج5 ،ص91 ، 90.

شمس ولا قمر ولا ظلمة... ثم إنه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين أن ذلك عقبى الذين اتقوا يعني عاقبة أهل التقوى هي الجنة، وعاقبة الكافرين النار... وحاصل الكلام من هذه الآية أن ثواب المتقين منافع خالصة عن الشوائب موصوفة بصفة الدوام.»[1]

وبالإضافة إلى الإيجاز في الكلام الذي جاءت به الآية فقد حوت على نكتة بلاغية زادت في جمال المعنى وارتقائه وهي الكناية وفي هذا يقول صاحب التحرير والتنوير: ((ودوام الظل كناية عن التفاف الأشجار بحيث لا فراغ بينها تنفذ منه الشمس، كما قال تعالى: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: 16] ، وذلك من محامد الجنات وملاذها)).[2]

فوصف الظلّ بالدائم يضفي على صورة هذه الجنة الرفاهة المستمرة والمنعة والعز كما يوحي هذا الجوّ الجميل بطيب العيش ورغد الحياة في الآخرة جزاءً لهؤلاء المتقين من رب كريم.

### 3- الجمع في وصف الظل:

وفي وصفه تعالى أصحاب الجنة وهم متكئون في ظلال على الأرائك، قد يكون المراد بهذه الظلال الفرش والستور التي تظللهم كالخيام والحجال[3]، وقد يكون المراد في ظلال أي في ظلال الأشجار، أو في مأمن من الحرور على الأرائك أي السرر المزينة متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون[4]، و قيل: ظلال القصور والأشجار.[5]

---

[1] مفاتح الغيب، ج19، ص47.

[2] ينظر التحرير والتنوير، ج13، ص155.

[3] ينظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان البخاري، ت: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، 1992م، ج11، ص308.

[4] ينظر محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ، ج8، ص190.

[5] ينظر تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني، ت:ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض السعودية، ط1، 1418هـ1997م، ج6، ص132.

وفي نكتة جمع لفظ الظلال يقول الألوسي:((باعتبار ما لكل واحد منهم من ذلك أو هو متعدد للشخص الواحد باعتبار تعدد ما منه الوقاية، ويحتمل أنه جمع باعتبار كونه عظيم الشأن جليل القدر كجمع اليد بمعنى القدرة على قول في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: 47] ))[1]

وقال الإمام: ((والظلال قرأه الجمهور بوزن فعال بكسر أوله على أنه جمع ظل، أي ظل الجنات، وقرأه حمزة والكسائي وخلف ظلل بضم الظاء وفتح اللام جمع (ظلة) وهي ما يظل كالقباب، وجمع الظلال على القراءتين لأجل مقابلته بالجمع وهم أصحاب الجنة، فكل منهم في ظل أو في ظلة))[2]

وأيا كان من هذه الظلال فكلها تشير أن أصحاب الجنة قد استظلوا بأشكال متنوعة وبظلال متعددة، متمتعين بنعيم الحياة الدائمة والسعادة الأبدية.

### 4- وصف الظلال بالدنو:

ثم جاء وصف القرآن للظلال في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14)﴾[الإنسان:14]، يقول القرطبي:(( أي ظل الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار، فهي مظلة عليهم زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس ولا قمر ثم)).[3]

وقال السامرائي مبينا استخدام الصيغة الإسمية في دانية وذللت بالصيغة الفعلية : (( قد جمع تعالى لهم بين دنو الظلال وتذليل القطوف وهما صورتان متقاربتان، فتذليل القطوف يعني أن يكون ذلك في متناولهم كيف شاؤوا وفيه دلالة على دنوها منهم كما قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ، ج12، ص34.

[2] التحرير والتنوير، ج23، ص42.

[3] الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص138.

دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:23]وقد عطف الفعل (ذللت)على اسم الفاعل (دانية) ذلك أن الظلال ثابتة ودنوها متصل، فجيء به باسم الفاعل الدال على الثبوت أما القطوف فهي متجددة، فتذليلها يتجدد بحسب الحاجة ، فجيء بالفعل الدال على التجدد، جاء في روح المعاني أن نكتة التخالف بين الفعلية والاسمية هي "أن استدامة الظل مطلوبة هناك، والتجدد في تذليل القطوف على حسب الحاجة"»[1]

فنلاحظ هنا كم كانت روعة اختيار صفة الظل دالة على ما كان يراد من المعنى، فظلال الجنة دائمة لا تغيب ولا تنمحي اختار لها الله وصفا دائما فهي ظلال لا تحول ولا تزول، وذلك باستعماله في التعبير عنها بالصيغة الإسمية أما القطوف وهي ثمار الجنة جاءت على الصيغة الفعلية لأنها متجددة ومتغيرة كلما جنوا منها تخرج مكانها أخرى.

وفي شرح اللمسات البيانية التي وردت في الآية يقول ابن عاشور: «ودنو الظلال قربها منهم وإذ لم يعهد وصف الظل بالقرب يظهر أن دنو الظلال كناية عن تدلي الأدواح التي من شأنها أن تظلل الجنات في معتاد الدنيا ولكن الجنة لا شمس فيها فيستظل من حرها، فتعين أن تركيب دانية عليهم ظلالها مثل يطلق على تدلي أفنان الجنة لأن الظل المظلل للشخص لا يتفاوت بدنو ولا بعد، وقد يكون ظلالها مجازا مرسلا عن الأفنان بعلاقة اللزوم».[2]

## 5- وصف الظل بالممدود:

وأما في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31)﴾ [الواقعة:30]، أي: «دائم ممتد منبسط لا يتقلص، ولا يتفاوت ولا يذهب كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وظاهر الآثار أنه ظل الأشجار».[3]

---

[1] على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1438هـ2017م،ج1، ص243.

[2] التحرير والتنوير،ج29، ص390.

[3] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،ط1، 1414 هـ ، 1993م، ج9، ص1248.

وفي قول أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة شجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30)﴾ [الواقعة:30] »[1]، أي أن الله قد مد هذا الظل حتى جعله لا ينقطع أبدا، مبالغة لأصحاب الجنة في النعمة و العطاء.

وفي هذا الوصف أيضا لمسة من لمسات حسن الاختيار في الوصف فقد جُعل هذا الظل ممدودا إشارة إلى أنه نقيض ظل الدنيا الذي يمتد تارة وينقبض تارة أخرى، كما أنه اقترن ذكره مع الماء المسكوب، دلالة على حسن الترتيب، ويظهر مدى التناسب مع ما قبلها وما بعدها لفظا ومعنى، كما لا يخفى علينا جمال الايقاع في الآيات الناتج عن السجع الرصين، وقد جمعت محاسن الإيجاز مع حروفها القليلة وفصاحة الكلم وفخامة التعبير وعظم الفائدة جعلتها محل استشهاد كثير من المفسرين على إعجاز القرآن وبيانه.

كل هذه العناية بأوصاف الظل جاءت دالة على أنه من أعظم النعم التي من الله بها على عباده في الحياة الدنيا يستظلون بها من حرارة شمسها وتقيهم أضرار حرها، وهي أيضا جزاءً لهم في الجنة وزيادة لهم في الراحة والطمأنينة حيث أنهم لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ولا حرا ولا قرا.

**ثانيا: ظلال أهل النار:**

أعد الله تعالى للأشقياء و العاصين من عباده ألوانا من العذاب والعقاب، وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم، ومن بين أشكال العذاب التي أعدها الله لهؤلاء (الظل)، وفيم يأتي تفصيلا لأوصاف هذا النوع من الظل.

**1- وصف الظلل من النار:**

[1] صحيح البخاري، ط1، رقم: 3079 (1187/3)، ج4، ص119.

يقول الله تعالى في سورة الزمر: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر:93]،وهذا وصف آخر من أوصاف الظلل في النار جرى فيه الكلام مجرى التهكم بهم ولذا قيل لهم وعبر عما علاهم من النار بالظلل أي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض كائنة من النار "وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ" كائنة من النار أيضا، والمراد أطباق كثيرة منها وتسميتها ظللا من باب المشاكلة. وقيل هي ظلل لمن تحتهم في طبقة أخرى من طبقات النار ولا يطرد في أهل الطبقة الأخيرة من هؤلاء الخاسرين إلا أن يقال: إنها للشياطين ونحوهم مما لا ذكر لهم هنا، وقيل: إن ما تحتهم يلتهب ويتصاعد منه شيء حتى يكون ظلة فسمي ظلة باعتبار ما آل إليه أخيرا وليس بذاك، والمراد أن النار محيطة بهم ذلِكَ العذاب الفظيع يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يذكره سبحانه لهم بآيات الوعيد ليخافوا فيجتنبوا ما يوقعهم فيه، وخص بعضهم العباد بالمؤمنين لأنهم المنتفعون بالتخويف وعمم آخرون.[1]

وصف حالهم في النار لبيان نوع الخسران فقال:"لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ" أي لهم أطباق متراكمة من النار الملتهبة عليهم، من فوقهم ومن تحتهم، أي أن النار محيطة بهم من كل جانب، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:41] وقوله :﴿يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: 55] وسمى ما تحتهم ظللا، لأنها تظلل من تحتها من أهل النار، ففي كل طبقة من طبقات النار طائفة من طوائف الكفار[2].

[1] ينظر روح المعاني، ج12، ص241.

[2] ينظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ، ط2، 1418هـ، ج23،ص267.

وهو مشهد رعيب حق، مشهد النار في هيئة ظلل من فوقهم وظلل من تحتهم، وهم في طيات هذه الظلل المعتمة تلفهم وتحتوي عليهم. وهي من النار! إنه مشهد رعيب. يعرضه الله لعباده وهم بعد في الأرض يملكون أن ينأوا بأنفسهم عن طريقه.[1]

وهي هنا استعارة للطبقة التي تعلو أهل النار في نار جهنم بقرينة قوله: من النار، شبهت بالظلة في العلو والغشيان مع التهكم لأنهم يتمنون ما يحجب عنهم حر النار فعبر عن طبقات النار بالظلل إشارة إلى أنهم لا واقي لهم من حر النار على نحو تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وقوله لهم ترشيح للاستعارة.[2]

فهذا الوصف نقل لنا صورة مرعبة عن عذاب النار فذكر إحاطة العذاب بمن فوقهم ومن تحتهم، مما يعكس شدة العذاب والمحاصرة الكاملة بالنار من كل جانب ،فلا يوجد مهرب منها ،فتعدى ذلك الجانب المادي من العذاب ليصل إلى الجانب النفسي، فالإحاطة بالنار من كل جهة تشعر بالعجز واليأس من النجاة.

## 2- وصف الظل باليحموم:

يقول الله تعالى في سورة الواقعة:﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44)﴾ [الواقعة:43 ،44] جاء في الكشاف: "وظل من يحموم من دخان أسود بهيم لا بارد ولا كريم نفي لصفتي الظل عنه، يريد أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوى إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه".[3]

[1] ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق-بيروت-القاهرة،ط17، 1412 هـ، ج5، ص3045.

[2] ينظر التحرير والتنوير،ج23، ص361، 362.

[3] الكشاف، ج4، ص463.

فمن خلال هذا الوصف تظهر لنا ملامح هذا الظل الخانق القاتل الذي سلبت منه جميع صفات البرودة والراحة، وألصقت فيه صفات غير معهودة، صفات الحر والقر والألم والأذى.

وقد جاء في الآية الكريمة لون من ألوان البيان عرف في القرآن الكريم وهو من إعجاز القرآن وبالغ بيانه وبلاغته وهو "الاحتراس" هو دفع توهم ينشأ في فهم المعنى قبل تمامه ويقع في لفظه مفردة وفي جملة وفي شبه جملة لفائدة يقتضيها المقام[1].

ففي نفي البرودة والكرامة عن هذا الظل احتراس بديع حسن جاء دفعا للتوهم أن يكون هذا الظل كسائر الظلال للراحة والرحمة، وإنما هو ظل لافح خانق ساخن جزاءً لهؤلاء الكفرة المتجبرين وزيادة لهم في العذاب، وكان غرض هذا الاحتراس التهكم والسخرية منهم.

يقول البقاعي: ((ولما كان للتهكم في القلب من شديد الوقد ما يجل عن الوصف والحد قال: ﴿وَظِلٍ﴾ ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال: ﴿مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أي دخان أسود كالحمم أي الفحم شديد السواد ..ولما كان المعهود من الظل البرد والإراحة، نفى ذلك عنه فقال: ﴿لَا بَارِدٍ﴾ ليروح النفس ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ ليؤنس به ويلجأ إليه ويرجى خيره ويعول في حال عليه بأن يفعل ما يفعله الواسع الخلق الصفوح من الإكرام، بل هو مهين، سماه ظلاً لترتاح النفس إليه ثم نفى عنه نفع الظل وبركته لينضم حرقان: اليأس بعد الرجاء إلى إخراق اليحموم فتصير الغصة غصتين)).[2] فهما صفتان للظل من قبيل الاحتراس لدفع توهم الاستراحة)).[3]

### 3- الظل ذي الثلاث شعب:

[1] ينظر الاحتراس في القرآن الكريم، حنان بنت قاسم بن محمد العنزي، ت:صالح بن حسين العايد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، 1434هـ، ط1، ص29.

[2] ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج19، ص212.

[3] ينظر حاشية القونوي على تفسير الامام البيضاوي، عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2012م، ج18، ص403.

أما في وصف الظل من قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31)﴾ [المرسلات:30 ،31]،فهو دخان جهنّم يتشعّب لعظمه ثلاث شعب، وتمتدّ ألسنته إلى أقسام ثلاثة، بعضها أشد من بعض، ولكنه ظلّ خير منه الوهج، إنه ظلّ خانق حارّ لافح، وتسميته بالظّلّ من باب التهكّم والسخرية، فهو لا يظلّ من حرّ ذلك اليوم، ولا يقي من لهب جهنّم.[1]

ثم إنه تعالى وصف هذا الظل بصفات ، الصفة الأولى: قوله: ذي ثلاث شعب ..والصفة الثانية: لذلك الظل قوله: لا ظليل وهذا تهكم بهم وتعريض بأن ظللهم غير ظلل المؤمنين، والمعنى أن ذلك الظل لا يمنع حر الشمس، الصفة الثالثة: قوله تعالى: ولا يغني من اللهب ..والصفة الرابعة: قوله تعالى: إنها ترمي بشرر .. واعلم أن الله تعالى وصف النار التي كان ذلك الظل دخانا لها بأنها ترمي بالشرارة العظيمة، والمقصود منه بيان أن تلك النار عظيمة جدا.[2]

فهو إذن ظل جهنمي دقق الله تعالى في وصفه وتفصيله مبرزا عظمته في صورة محسوسة واقعية منقولة إلى ذهن المستمع بواسطة الخيال.

كما أن في هذا التعبير كناية عن عظمة ذلك الدخان الكثيف حتى أصبح ظلا لا ظليل فيه يظللهم من حر ولا يسترهم من لهيب.

قال قوم هذا كناية عن كون ذلك الدخان عظيما، فإن الدخان العظيم ينقسم إلى شعب كثيرة.[3]

---

[1] ينظر الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، ت:عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط1، 1420هـ، ج7 ،ص11.

[2] ينظر مفاتح الغيب، ج30، ص774.

[3] ينظر نفس المرجع، ص11.

أو أن يكون في هذا التعبير القرآني مجازا بوصف تلك النار بالظل كونها تحيط بهم من كل جانب، فهو متفرق في كل الأماكن.

كما أن في وصف الظل بهذا الأسلوب صورة تهكمية ساخرة لأولئك وعلى سبيل التهكم بهم فهم في حاجة لظل يأويهم من لهب نار جهنم.

وفي دعوتهم إلى الانطلاق إلى ظلّ هو من دخان جهنم، لا إلى جهنم ذاتها، مع أنهم مدعوون إليها أصلا- في هذا استهزاء بهم، وسخرية منهم، ومبالغة في إيلامهم، حيث يلوّح لهم بالظل، الذي يفتح لهم بابا من الأمل، فإذا هذا الظل لا يتمتع به إلا من أخذ مقعده من النار.[1]

وبهذه الصفات يكون لفظ الظل قد فقد خصائصه المعهودة والمعروفة من البرودة والشعور عنده بالراحة، وصار المقصود به ظلا آخر، لا برد فيه ولا راحة ولا استراحة، جاءت أوصافه في منتهى الدقة وقد تركت في قلب المؤمن نصيبا من خشية الله تحول بينه وبين معصيته.

**الفرع الثاني: الحقائق العلمية:**

مثلما كان حال الوصف ذا أهمية كبيرة في الجانب البلاغي كأداة مهمة في بناء التصورات و يزيد في قوة التأثير والإقناع في ذهن المتلقي، فإنه لا يمكننا إغفال دوره من الناحية العلمية، فهو يعتبر وسيلة فعالة في توضيح الظواهر والمفاهيم العلمية بطريقة دقيقة ومفصلة مما يسهل فهمها واستيعابها، وفي هذا الجانب من البحث سنستعرض بعض الحقائق التي دلت على أهمية الوصف في القرآن الكريم وتناسبه مع الواقع.

**أولا: الحقائق العلمية في أوصاف ظل أهل الجنة:**

لقد كان الظل ولا يزال من النعم الكبيرة التي وهبها الله لجميع الكائنات فهو يحمينا من حرارة الشمس الحارقة ويوفر المأوى والراحة في أوقات الحر بالإضافة الى ذلك فهو يلعب دورا حيويا في الحفاظ على كثير من النباتات والحيوانات والنظام البيئي بصفة عامة فهو يساعد

[1] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ج15، ص1404.

على تقليل تبخر المياه ويسهم في التقليل من التآكل البيئي والتغيرات المناخية عن طريق تبريد البيئة وتحسين جودة الهواء وهو يعتبر مصدرا للجمال والهدوء مما يساهم في تحسين الصحة النفسية والعقلية للإنسان، وفيم يلي سنتطرق لإبراز أهم الدلالات العلمية التي حوتها الآيات.

## 1- الدلالة العلمية في وصف الظل بالظليل:

لقد أوضحت القياسات العلمية الحديثة أن أفضل شيء لتقليل درجة الحرارة داخل الفراغات المبنية يكون عن طريق تظليل الأسقف العلوية للمباني، بمعنى وجود سقف يظلل السقف الأصل للمبنى، وهو أحد نماذج الظل الظليل، حيث يعمل السقف الخارجي (العلوي) على تظليل سقف المبنى الأصلي من الإشعاع الشمسي المباشر، وخفض الانتقال الحراري للفراغات (المعمارية) أسفله.[1]

وتعتبر عملية تظليل المباني والفراغات الخارجية أحد أهم مبادىء علم التصميم البيئي وحتى يمكن أن ندرك أهمية إيجاد وتوفير الظلال خالصة بالمناطق الحارة فإن بعض الدراسات أوضحت أن تظليل الشوارع يؤدي إلى خفض درجة الحرارة يقدر بحوالي 4درجات مئوية، وفي قياسات تمت على بعض أفنية المنازل الإسلامية القديمة بالقاهرة اتضح أن درجات الحرارة داخل هذه الأفنية المعرضة للظل تقل بحوالي 4إلى7درجات مئوية عن درجة حرارة سطح المنزل المعرض للشمس.[2]

ولقد أوضحت إحدى التجارب في اليابان أثر استخدام النباتات في خفض درجة حرارة الحوائط الخارجية، حيث تم استخدام أحد أنواع النباتات اليابانية (اللبلاب) في تغطية حائط غربي معرض للشمس فوجد أن درجة حرارة الحائط قبل تغطيته بالنباتات أعلى بحوالي

[1] ينظر إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال، يحي وزيري، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالكويت.

[2] ينظر العمران والبنيان في منظور الإسلام، يحي وزيري، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1429هـ2008م، ص105.

10 درجات مئوية عن درجة حرارة الهواء المحيط، أما بعد التغطية فوجد أن درجة حرارة الحائط تقل بحوالي 1 درجة مئوية عن درجة حرارة الجو المحيط.[1]

كما أوضحت دراسة أخرى أجريت لمعرفة تأثير استخدام النباتات الطبيعية في تظليل المباني مدى التباين في تقليل درجات الحرارة نتيجة اختلاف أسلوب استخدام هذه النباتات في عملية التظليل فعلى سبيل المثال فإن متوسط الانخفاض في درجات الحرارة نتيجة التظليل باستخدام الأشجار الكبيرة الحجم (في وجود إشعاع شمسي مباشر) يقدر بحوالي 14.50 درجة فهرنهيت[2]، أما في حالة استخدام شجيرات متوسطة الحجم فيصل الانخفاض إلى 24.30 درجة فهرنهيت[3].

وأوضحت دراسة أخرى أن الانخفاض في درجة حرارة الحوائط المظللة باستخدام خليط من الأشجار والشجيرات يصل لحوالي من13.50إلى 15.50درجة مئوية ،أما في حالة استخدام النباتات المتسلقة فإن درجة حرارة الحائط تنخفض حوالي من 10إلى 12درجة مئوية.[4]

ومن هنا تظهر لنا الدلالة العلمية لوصف الله تعالى لظل الجنة بالظليل، فصفة الظليل جاءت لتعبر عن الظل الأبرد من الظل العادي فتكاثف الظل أو الظل الكثيف السميك الناتج عن ظلال متراكبة بعضها فوق بعض يعطي كمال للراحة وزيادة لأهل الجنة في النعيم والاسترواح.

## 2- الدلالة العلمية في جمع لفظ الظل:

[1] ينظر دلائل الإعجاز العلمي في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم، يحي وزيري، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص6.

[2] ينظر دلائل الإعجاز العلمي في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم، ص6.

[3] درجة من سلم لدرجات الحرارة، ينظر معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية، 1436هـ،2015م، ص172.

[4] ينظر دلائل الإعجاز العلمي في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم، ص6.

أما من ناحية ذكر الظل في القرآن الكريم بصيغة الجمع ففيه دلالة على أن هناك أنواع من الظلال، وقد دلت على ذلك الدراسات الحديثة وأثبتته الحقائق المجربة وأكد الله تعالى على خلقه للظلال المختلفة في قوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ﴾[النحل:81]، أي أن الله خلق من مسببات الظل أنواعا وأصنافا.

إن الدراسات العلمية توضح أمرا هاما وهو اختلاف النقص في درجات حرارة المباني أو الحوائط المظللة تبع للعنصر المستخدم في التظليل فالظل الناتج عن طريق تظليل المباني بعضها البعض يختلف عن الظل الناتج عن النباتات الطبيعية ، كما الظل الناتج عن استخدام الأشجار أو الشجيرات يختلف عن الظل الناتج عن النباتات المتسلقة، لذلك نجد أن الآية الكريمة ذكرت لفظ (ظلالا) بصيغة الجمع وكأنها تلفت النظر إلى أنه توجد اختلافات في تأثير الظلال تبعا للعنصر الذي يلقى الظل، كما أن الآية ألمحت الى أن هذه الظلال ناتجة عن العناصر التي خلقها الله سبحانه وتعالى:(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا) لتوضح لنا أن الظلال الناتجة من العناصر الطبيعية التي خلقها الله كالنباتات والأشجار والأكنان بالجبال يكون تأثيرها في خفض درجة الحرارة أكبر.[1]

### 3- الدلالة العلمية في وصف الظل بالممدود:

من اللافت للنظر أن الآية الكريمة قد ربطت ما بين الظل الدائم ووجود الماء الجاري، وهو ما يؤدي إلى زيادة التقليل في درجات الحرارة ، وهذا ما أثبتته العديد من التجارب العلمية الحديثة، حيث أعطت الآية نموذجا مثاليا للتصميم البيئي حيث الجمع بين الظلال والماء ،وهو ما يفسر حرص المسلمين الأوائل على وجود النوافير والبحيرات المائية داخل أفنية المباني والبيوت الإسلامية وفي الحدائق الخارجية المحيطة بها بهدف خفض درجات الحرارة إلى جانب

[1] ينظر دلائل الإعجاز العلمي في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم، ص8

تحقيق الجانب الجمالي أيضا، كما أن هذا الوضع يؤدي إلى زيادة الشعور بالراحة الحرارية، خاصة في المناطق الحارة والجافة.[1]

فنلاحظ هنا كيف كان لاقتران وصف الظل المدود بالماء المسكوب من دلالات أثبتتها الحقائق المجربة فترطيب الهواء بالإضافة إلى عملية التظليل يؤديان إلى زيادة خفض درجة حرارة الهواء وهذا ما يؤكد صدق الرسالة النبوية وإعجازها.

**ثانيا: الحقائق العلمية في وصف ظل أهل النار:**

إن الله لما وصف الجنة جعل الظل من أهم نعمها، كما أنه تعالى لما وصف النار جعله من أهم أنواع عذابها، فلم تأتي هذه الأوصاف عبثا بل جاءت دالة على حقائق موجودة ودقائق مثبتة، فكل وصف من هذه الأوصاف جاء معبرا عن حقيقة مشهودة، وقد رأينا كيف كان وصف الظل في حالته الإيجابية وكيف تطابقت صفاته مع الحقائق المشهودة، وأما وصف الظل في حالته السلبية فهي لا تقل توافقا عما عرفنا في أوصاف الظل المحمود، وفيم يلي نستعرض أهم ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق من خلال وصف الظل العقاب الذي أعده الله في الآخرة.

**1- الدلالة العلمية من وصف الظلل من النار:**

من المعلوم أن النار التي خصها الله تعالى بالعذاب و تحدث عليها في القرآن الكريم هي نار يوم القيامة وهي ليست كنار الدنيا التي نراها، وإنما هي جزء بسيط من نار جهنم، والله وحده الذي يعلم مقدار حرارتها وقوتها، وهذا ما أثبت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ضرب بِمَاءِ الْبَحْرِ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فيها منفعة لأحد"[2] ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى عظمة نار جهنم وشدة حرارتها، وأن النار يوم القيامة أعظم بكثير من النار التي نراها في الدنيا بسبعين ضعفاً، ولهذا فإن جميع الحقائق

[1] ينظر العمران والبنيان في منظور الإسلام، ص105 ، 104

[2] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ، 1988م، ج16، ص504، رقم:7463

التي سنتحدث عليها تتعلق بنار الحياة الدنيا، ومن خلالها سنستنتج حقيقة الوصف الذي جعله الله تعالى لهذه النار خاصة إذا علمنا أن حرارة نار يوم القيامة أكثر أضعافا من حرارة نار الدنيا.

فقد أكد العلماء بأن لون الضوء الذي يشعّه الجسم المشتعل أو المحترق يتعلق بدرجة حرارة هذا الجسم، وهذه حقيقة لم تكن معروفة في الماضي، إنما هنالك قياسات حديثة أثبتت وجود هذه العلاقة، حتى إن العلماء يؤكدون بأن العامل الوحيد الذي يؤثر على لون الضوء الصادر من الجسم المسخّن هو درجة الحرارة، ولذلك يسمي العلماء هذه العلاقة "بدرجة حرارة اللون" عندما تزداد درجة الحرارة تنتقل الألوان من الطول الموجي الأكبر باتجاه طول الموجة الأقصر، أي من اللون الأحمر إلى اللون الأصفر فالأزرق فالبنفسجي وأخيراً فوق البنفسجي وأخيراً اللون الأسود، فعندما ترتفع درجة الحرارة بشكل كبير، فإن الألوان تصبح قاتمة أو غامقة حتى تنتهي باللون الأسود، والعلماء يؤكدون بأن اللون الأسود هو نهاية ألوان الطيف الضوئي الحراري[1].

وهذا الكلام يؤكده القرآن الكريم عند وصفه للنار بالظلل، فحرارة النار تنتقل بالإشعاع من الأجسام الساخنة، وهذا الإشعاع يتدرج في الألوان كلما زادت الحرارة حتى تبلغ شدتها فيكون اللون أسودا مظلما مثل الظلل لأن درجة الحرارة اللانهائية سوداء مظلمة.

إن التوافق بين الوصف القرآني للنار بوجود الظلل والعلم الحديث، يجعل من اللغة البيانية تعكس الحقائق الطبيعية الفيزيائية، مما يضيف بعدا تصوريا ناطقا ومرعبا للنار في الآخرة.

## 2- الدلالة العلمية في وصف الظل باليحموم:

قد سبق أن ذكرنا أن الظل المذموم أو ظل أهل النار في القرآن الكريم يراد به الدخان الأسود، ذلك الظل الحارق الخانق كما وصفه بعض المفسرين وذكر الظل الضار يعتبر سبقا قرآنيا، لأن اليحموم عبارة عن دخان أسود حار سيئ المنظر، ومثاله ما يعرف الآن باسم "الضبخان" (السحابة السوداء)، ويتكون من الضباب والدخان، ولم تعرف ظاهرة الضبخان إلا

[1] ينظر ألوان النار، عبد الدائم كحيل، موقع أسرار الإعجاز العلمي، الرابط:www.kaheel7.com/ar

بعد الثورة الصناعية وانتشار الملوثات من أدخنة وأبخرة ساخنة متصاعدة، في وجود ظروف مناخية معينة، تؤدي الى تكون سحب سوداء من الضبخان تحجب الشمس، ولكنها تضر بالصحة وتزيد من ارتفاع درجات الحرارة والشعور بجو خانق، ومن جانب آخر فإنها سيئة المنظر.[1]

لقد حذر كثير من العلماء من مخاطر الدخان الأسود الكثيف الذي غطى سماء بيروت على إثر الحريق الذي اشتعل في ميناءها، ويتسبب استنشاق الهواء الفاسد النابع من الحرائق، بحساسية في الجيوب الأنفية والتهاب في الرئة والتهابات في الصدر، حيث تدخل الغازات السامة منها أول أكسيد الكربون لمجرى الدم فتتحول الخلايا السليمة لخلايا سرطانية تهاجم الخلايا الأخرى.[2]

وبحسب منظمة الصحة العالمية فإن نسب الوفاة جراء تلوث الهواء، تشهد ارتفاعًا كبيرًا خاصة أنّ ذلك يؤدي إلى وقوع أمراض كثيرة في الجهاز التنفسي والالتهاب الرئوي والتسمم الحراري، وذلك يعود لاستنشاق كميات كبيرة من غاز أول أكسيد الكربون.[3]

إن الوصف الذي جاء به القرآن للدخان كعلامة من علامات العذاب قد انسجم مع فهمنا المعاصر لتأثيرات التلوث البيئي والدخان الناتج عن الأنشطة البشرية، حيث أن هذا الدخان يعرض فعلا البشرية لأشكال متعددة من العذاب والأضرار.

وبهذا يمكننا القول أن كلام القرآن عن ظل العذاب المتمثل في الدخان الأسود يحمل معاني تتجاوز الزمن، وتكشف عن حكمة إلاهية تتعلق بتحذير البشر من العواقب المترتبة عن الكفر وعصيان الله تعالى.

---

[1] ينظر إعجاز وصف الظل والظلال في القرآن الكريم، يحي وزيري، موقع إعجاز القرآن والسنة، www.quran-m.com

[2] ينظر ما أثر الدخان الأسود على صحة الإنسان، محمد شهابي، مقال في موقع النهار على شبكة الأنترنت، 2020/09/12م، س21:00، الرابط:https://www.annahar

[3] نفس المرجع

## المطلب الثالث: جمال التعبير وبراعة التصوير:

إن اللغة العربية تتمتع بجمالية لغوية فريدة، وغنىً في الألفاظ والمعاني يجعلها وسيلة فعالة للتعبير، ويعد القرآن الكريم أفضل شاهد على بلاغة الكلم ومتانة الأسلوب وحسن السياق وعذوبة الألفاظ ودقة المعاني،كما أن للقرآن أسلوب بديع في عرض وتصوير الأحداث والحقائق في شكل بديع يثير الوجدان ويستدعي الانتباه.

ومن خلال هذا المطلب سنقف على شواهد من آيات الظل بلغ فيها القرآن مبلغا من جمال التعبير وحسن التصوير.

### الفرع الأول: الملامح البيانية:

### أولا: سجود الظلال لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ (15)﴾[الرعد:15]، يقول الواحدي: "سجود الظلال ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب، وطولها بانحطاط الشمس، وقصرها بارتفاع الشمس فهي مستسلمة منقادة، مطيعة بالتسخير، وهي في ذلك تميل من جانب إلى جانب، والميل سجود في اللغة، يقال: سجدت النخلة، إذا مالت."[1]

أي يستسلم من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من المؤمنين طوعا، ويستسلم من في الأرض من الكافرين كرها من خوف السيف.[2]

وهذه استعارة لأن أصل السجود في اللغة الخضوع والتذلّل إمّا باللسان الناطق عن الجملة أو بآثار الصنعة وعجائب الخلقة، ثم نقل فصار اسما لهذا العمل المخصوص الذي هو

[1] التفسير البسيط، ج12، ص328

[2] ينظر معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، ت:هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ 1990م، ج2، ص403

من أركان الصلاة، لأنه يدل على تذلّل الساجد لخالقه، بتطامن شخصه، وانحناء ظهره ، وهو أن الظل الذي هو في سجود الشخص وهو غير قائم بنفسه، إذا ظهرت فيه أعلام الخضوع للخالق تعالى، بما فيه من دلائل الحكمة وعجائب الصنعة، كان ذلك أعجب من ظهور هذه الحال في البنية القائمة بنفسها، والمعروفة بشخصها.[1]

وقد جاءت هذه الآية لتبين لنا أن الله تعالى قادر على إخضاع جميع مخلوقاته بالسجود له طوعا أو كراهية، فكل من في الكون يذل وينقاد له ودليل ذلك سجود ظلال الأشياء، وفي هذا يقول صاحب التحرير والتنوير: ((والغرض من هذا الاستدلال الرمزي التنبيه لدقائق الصنع الإلهي كيف جاء على نظام مطرد دال بعضه على بعض.. والاستدلال مع ذلك على أن الأشياء تسجد لله لأن ظلالها واقعة على الأرض في كل مكان وما هي مساجد للأصنام وأن الأصنام لها أمكنة معينة هي حماها وحريمها وأكثر الأصنام، في البيوت مثل: العزى وذي الخلصة وذي الكعبات حيث تنعدم الظلال في البيوت. العرض التصويري البديع إثبات على أن العبودية لله وحده ودلالة على انفراده بالخلق فهم خاضعون لأمره)).[2]

وفي الآية جاء إيجاز بالحذف فلم يكرر الموصول لأن المقام مقام إجمال استدعى الاختصار في الكلام وهذه من عادات القرآن البديعة ففي مقام التفصيل يكرر ويفصّل وفي مقام الإجمال يجمل ويوجز.

وفي سورة النحل يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:48]

[1] ينظر الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، ت:عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، 1420هـ، ج4، ص219

[2] التحرير والتنوير، ج13، ص112

وهنا يراد بالظلال شخص ذلك الشيء، والظلال كناية عن الشخص، كما يقال: رأيت ظل فلان؛ أي: شخصه.[1]

وعلى هذا التأويل فإن شخص كل نفس تفيء خضوعًا وسجودا لله تعالى مسلمة مستسلمة مثل جميع الموجودات.

وقد ذكر هنا السجود، لأنه أبين أحوال الخضوح وهو مشاهد، ومن عادة العرب أن يشبه الشيء الذي يقع عليه البصر بما يقع عليه البصر حتى يكون السامع به كالرائي له.[2]

وقد ذكرنا فيما سبق أن الفيء هو رجوع الظل بعد الزوال أي عاد بعد أن أزاله ضوء الشمس، وكأنما الله جمع بين لفظ الظل والفيء في الآية دلالة على ديمومة خضوع واستسلام المخلوقات لله تعالى في كل وقت وحين، فهي مجبولة على الطاعة فجاء التعبير بألفاظه العذبة بأسلوب محكم فريد، جمع بين عبقرية التصوير وبراعة التعبير وفي هذا يقول سيد قطب: ((ومشهد الظلال تمتد وتتراجع، تثبت وتتمايل، مشهد موح لمن يفتح قلبه، ويوقظ حسه، ويتجاوب مع الكون حوله والسياق القرآني يعبر عن خضوع الأشياء لنواميس الله بالسجود- وهو أقصى مظاهر الخضوع- ويوجه إلى حركة الظلال المتفيئة- أي الراجعة بعد امتداد- وهي حركة لطيفة خفية ذات دبيب في المشاعر وئيد عميق. ويرسم المخلوقات داخرة أي خاضعة خاشعة طائعة)).[3]

**ثانيا: تفيأ الظلال عن اليمين والشمائل:**

[1] ينظر تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد الماتريدي، ت:مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ2005م، ج6، ص512.

[2] ينظر الوجوه والنظائر، أبي هلال العسكري، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ2007م، ج1، ص483.

[3] ينظر في ظلال القرآن، ج4، ص2173.

ومن بدائع العرض التي جاءت في الآية قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:48] عن اليمين والشمائل، أي عن جهات اليمين وجهات الشمائل مقصود به إيضاح الحالة العجيبة للظل إذ يكون عن يمين الشخص مرة وعن شماله أخرى، أي إذا استقبل جهة ما ثم استدبرها[1].

وأفرد اليمين، لأن المراد به جنس الجهة كما يقال المشرق، وجمع الشمائل مرادا به تعدد جنس جهة الشمال بتعدد أصحابها،كما قال:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج:40] فالمخالفة بالإفراد والجمع تفنن، وأفرد الضمير المضاف إليه (ظلال) مراعاة للفظ شيء وإن كان في المعنى متعددا، وباعتبار المعنى أضيف إليه الجمع.[2]

تظهر لنا هنا براعة اختيار الألفاظ وصيغها الملائمة لتتناسب مع التعبير أيما تناسب وترسم لنا الصورة بألوانها الواضحة وبتفاصيلها الدقيقة من غير مبالغة ولا تكلف في تسلسل لطيف وحلقات محكمة.

**ثالثا: مد الظلال وقبضها:**

وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان45 ،46]

يقول الزمخشري: "ألم تر إلى ربك ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته، ومعنى مد الظل: أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة، غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا، ومعنى كون الشمس دليلا: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على

[1] ينظر التحرير والتنوير، ج14، ص169.
[2] المرجع نفسه، ج14، ص169.

أحوال الظل، من كونه ثابتا في مكان زائلا ومتسعا ومتقلصا، فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك. وقبضه إليه أنه ينسخه بضح الشمس يسيرا أي على مهل. وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا"[1].

وفي الآية الأولى استعارتان، إحداهما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الفرقان: 45 ] أي ألم تر إلى فعل ربك، أو إلى حكمة ربك في مدّ الظل، فحذف هذه اللفظة لدلالة الكلام عليها، إذ كان الله سبحانه لا يدرك بالمشاعر، ولا يرى بالنواظر. والاستعارة الأخرى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان:46]، وهي استعارة على القلب، لأن الظل في الشاهد يدل على الشمس، وذلك أن الظل لا يكون إلا وهناك شمس طالعة، فيوصف ما لم تطلع عليه لحاجز يحجز، أو مانع يمنع، بأنه ظل.[2]

والصورة هنا ترسم لنا هذا المشهد الكوني بدقة متناهية، فحركة الظل بطيئة لطيفة حتى كأنه لا يتحرك، وهذا ملحوظ في إيقاع مد الظل ثم كلمة ساكنا تلقي بظلها على حركة الظلّ البطيئة، حتى كأنه ساكن، والصورة تجسّم حركته البطيئة، وتحرك الخيال لاستحضارها وتأملها، ومتابعة هذه الحركة من بدايتها إلى نهايتها، للوقوف على حركة هذا الكون البديع المتناسق في تصميمه، والمحكم في بنائه، وتبرز يد القدرة الإلهية، من خلال تصوير هذا المشهد المتناسق في حركته في الأرض، مع حركة الشمس في السماء، وتعتمد الصورة على الفعل المضارع أَلَمْ تَرَ على طريقة القرآن الكريم في استحضار المشهد، وإحيائه، وكأنه يعرض الآن أمام العيون.[3]

في هذا العرض المركب من هذه الألفاظ والجمل الدقيقة يلفت انتباهنا إلى قانون من قوانين الطبيعة ونظام من أنظمة الكون فيه تتجلى مظاهر عظمة الله وحسن تدبيره في مشاهد

[1] الكشاف، ج3، ص283.

[2] ينظر الموسوعة القرآنية، ج6، ص132.

[3] ينظر وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، دط، 1422هـ 2001 م، ص219.

تتوالى وتتعاقب معها المعاني، وفي هذا التصوير البديع والإشارات الموحية بدقة الصناعة الإلاهية الدالة على أحوال الظل وأسلوب حركاته وسكناته داعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله .

**رابعا: الفرق بين الظل والحرور:**

وفي آية أخرى يتجلى فيها أسلوب القرآن الفريد في إظهار الفرق الشاسع بين المؤمن والكافر من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)﴾ [19، 20، 21، 22]

يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة الله، وفيما أودعه في فطر عباده.. فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به وأحقها بالإيثار.[1]

إن هذه الصور الحسية لمعاني الإيمان والكفر، تبين اختلاف الطبيعتين في كليهما، كاختلاف الموت والحياة، واختلاف الظلمات والنور، والعمى والبصر، والظل والحرور فالاختلاف بين الإيمان والكفر، اختلاف جوهري، في الأصل والطبيعة، وليس اختلافا في المظاهر والأشكال. ثم هناك العلاقة الوثيقة بين الإيمان والنور والبصر، والظل والحياة، والعلاقة القوية أيضا بين الكفر والعمى، والظلمة والحرور والموت.

[1] ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تح:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ 2000م ،ج1، ص688.

وبهذا يتضح الاختلاف بين الهدى والضلال، كالاختلاف الواضح بين هذه الصور الحسية لكل منهما، وهو اختلاف عميق وأصيل، يمتد إلى طبائع الناس، وأعماق النفوس، كالاختلاف الملحوظ في البصر والعمى، والظلمات والنور، والظل والحرور، والحياة والموت.[1]

نلاحظ في هذه الآيات التي اشتركت فيها عظمة المعاني مع الألفاظ الوجيزة المعبرة على مراتب الهدى والضلال، وبألوان مختلفة من الأمثلة كي تثبت لنا شساعة الفارق بين الحق والباطل، ويتأكد لنا ما للظل من المكانة العظيمة حتى يضرب الله سبحانه وتعالى به مثل يبين ويؤكد البعد بين منزلة الخير و الشر أو بين المؤمن والكافر.

**الفرع الثاني: الحقائق العلمية:**

لطالما كانت ومازالت آيات القران الكريم مصدر الهداية والنور للإنسانية جمعاء، فبين طياتها نجد الإجابة عن أسرار وغوامض الكون، فقد أثبتت الحقائق الحديثة ألا تعارض ولا تناقض مع ما أثبته العلم في العصر الحديث، حيث أنه المرجع الأول لكثير من الاكتشافات، ومصدر إلهام لكثير من العلوم بمختلف أنواعها، لقد جاءت آيات القرآن بتعابيرها البليغة وألفاظها الفصيحة لتصور لنا من المشاهد الدقيقة فيجعلها حياة نابضة وحركة متجددة.

وآيات الظل في القرآن من الآيات التي بلغت أقصى درجات البلاغة في الأداء التعبيري سواء كان ذلك عن طريق التصوير أو جاء عن طريق التعبير عن الحقائق الموجودة.

**أولا: الدلالة العلمية من سجود الظلال:**

في الآيتين الكريمتين: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ(15) ﴾[الرعد:15] و ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ(48) ﴾ **[النحل:48]**، يتحدث الله تعالى عن سجود جميع المخلوقات له، ومن بين تلك المخلوقات الظلال، ونحن نعلم أن القبلة تكون نحو الكعبة المشرفة

[1] ينظر وظيفة الصورة الفنية، ج1، ص103.

قبلة جميع المسلمين التي اختارها الله تعالى لعباده ورمز وحدتهم وتميزهم عن باقي البشر، فكيف لهاته المخلوقات أن تدرك اتجاه القبلة؟

إن الشمس تتحرك شمال وجنوب خط الاستواء في فصلي الصيف والشتاء، ومكة تقع شمال خط الاستواء (بينه وبين مدار السرطان) ومعنى هذا، أن الشمس ستمر بمكة مرتين كل سنة، مرة أثناء حركتها شمال خط الاستواء، والأخرى أثناء رجوعها، وعند دخول وقت صلاة الظهر حسب التوقيت المحلي لمكة تكون الشمس عمودية تماماً على مكة المكرمة، فمن ينظر إلى الشمس في هذه اللحظة يكون مستقبلاً لجهة القبلة تماما، لأن الشمس في تلك اللحظة تكون فوق مكة مباشرة، وهذان اليومان هما 28 ماي الساعة9 صباحا والدقيقة 18 بتوقيت جرينتش، واليوم التالي 16جوان الساعة 9 صباحا والدقيقة 27 بتوقيت جرينتش[1].

هناك يومان آخران تكون الشمس فيهما عمودية على المكان الذي يقابل الكعبة من الجانب الآخر من الكرة الأرضية، وهما28نوفمبر الساعة21 والدقيقة 9 بتوقيت جرينتش، ويوم 13جانفي الساعة 21 والدقيقة 9 بتوقيت جرينتش، ولكن يكون اتجاه القبلة معاكسا تماما للاتجاه الذي فيه الشمس، فيعطي الإنسان ظهره للشمس، والجهة التي أمامه هي جهة القبلة، وبهذا يمكن لجميع أهل الأرض تحديد اتجاه القبلة بدقة بواسطة الشمس.[2]

في هذين اليومين ستكون الشمس مرئية بالنسبة لجميع سكان الكرة الأرضية وكل من يراها في تلك اللحظة المذكورة فإنه سيكون مستقبلا للقبلة حيث تشير ظلال جميع الأعمدة في أي مكان مشمس إلى جهة الكعبة المشرفة (أعمدة الكهرباء، الهاتف، الحبال المعلقة بأثقال وذلك بعقد حبل يتدلى إلى أسفل ومربوط بثقل في أسفله بحيث لا يلامس الأرض حيث أن هذا يؤدي وظيفة العمود لأنه يتعامد على الأرض)، وبذلك يمكن لكل مسلم أن يتأكد من اتجاه القبلة بالنسبة له.[3]

[1] ينظر موقع الإسلام سؤال وجواب، محمد صالح المنجد، 2016/05/26، ج5، ص902.

[2] المرجع نفسه، ص902.

[3] ينظر الكعبة المشرفة، أبو مروان محمد الثقفي، منتدى الرحلات، ط1، 1428هـ2007م، ص58.

من هذه الحقائق نستنتج أن ذكر سجود الظلال ومعها جميع المخلوقات في القرآن الكريم لم يأتي اعتباطيا وإنما جاءت لتثبت وتدل أن واجب السجود والخضوع لا يكون إلا لله الواحد ومن خلال قبلة واحدة رمز التوحيد لله عز وجل.

**ثانيا: الدلالة العلمية في حركة الظلال:**

إن الآية الكريمة من قوله تعالى:﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴾ [النحل:48]عبرت بدقة متناهية عن حركة الظلال من جهة الغرب إلى جهة الشرق في نصفي الكرة الأرضية الشمالي والجنوبي في آن واحد وبدقة متناهية، باستخدام لفظ اليمين ولفظ الشمائل إشارة لجهة الغرب في نصفي الكرة الأرضية، أما في افراده لجهة اليمين وجمعه لجهة الشمال يقول الباحث: ((أن مساحة اليابسة وعدد السكان في نصف الكرة الشمالي أكبر من مساحة اليابسة وعدد السكان بنصف الكرة الجنوبي، وهو ما يوضح أن ظلال الأشياء المنتقلة من جهة الشمال لليمين بنصف الكرة الشمالي أكبر بكثير من ظلال الأشياء المنتقلة من جهة اليمين للشمال في نصف الكرة الجنوبي، لذلك جاء التعبير في الآية الكريمة عن الشمائل بصيغة الجمع والتعبير عن اليمين بصيغة المفرد، في وقت لم يكن معروفا فيه إلا ثلاث قارات فقط (أفريقيا وآسيا وأوروبا)، كما لم يكن معروفا تقسيم الأرض إلى نصف شمالي وآخر جنوبي، حيث أن اكتشاف أن البشر يعيشون على كرة أرضية تحتوى على سبع قارات (منها ست معمورة بالسكان) تأكد بعد نزول القرآن الكريم بعدة قرون، وهذا من دلائل إعجاز الوصف القرآني لحركة الظلال في الآية (48) من سورة النحل)[1].

أما في سورة الفرقان يتحدث الله تعالى عن حركة الظلال وكيفية مدها وقبضها ثم إذا شاء جعلها ساكنة وجعل الشمس عليها دليلا وذلك قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46) ﴾

[1] ينظر إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال، يحي وزيري، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالكويت، ص10.

[الفرقان45 ،46] فإن قانون (الهيثم- ديكارت) يقول إن الشعاع الضوئي الذي ينتشر في مجال ذي كثافة متغيرة باستمرار يخط في مسيره خطاً منحنياً ذا تجويف متجه نحو النقط الأكثر كثافة، وفي هذا المجال يقبض الظل (قبضاً يسيراً) بالنسبة لما قد يكون عليه الفراغ الذي لا يوجد فيه انكسار، وفي هذا توافق ملحوظ بين الفكرة القرآنية والخاصة البصرية المحضة التي يجهلها العلم الإنساني في العصر القرآني.[1]

وفي هذه الآية دليل قوي على دوران الارض حول نفسها، وأن هذا الدوران ضروري للكائنات الحية فوق الارض لأنها لو كانت غير متحركة لسكن الظل ولم يتغير طولا أو قصرا، ولظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الكرة الارضية باستمرار، بينما يظل النصف الآخر ليلا دائما وهذا ما يسبب اختلافا كبيرا في التوازن الحراري على الأرض ويؤدي ذلك إلى هلاك البشر من شدة الحرارة أو من شدة البرودة، والله سبحانه قد جعل نسخ الظل بالشمس تدريجيا وبمقدار، ولم يجعله دفعة واحدة وفي ذلك منافع للناس تحفظ عليهم نظام حياتهم ونشاطهم.[2]

وفي هذا يثبت العلم الحديث الربط ما بين طول الظل (مد الظل) والشمس كدليل عليه، حيث أوضحت النتائج المدروسة وجود علاقة عكسية بين زاوية ارتفاع الشمس وطول الظل في كل مناطق العالم بلا استثناء وعلى مدار الساعة واليوم والسنة، ووجه الإعجاز هنا يتجلى في ذكر هذه العلاقة الثابتة في وقت نزول القرآن الكريم حيث لم تكن المنطقتان القطبيتان معروفتين، إلى جانب أن إثبات هذه العلاقة تحتاج إلى دراسة أطوال الظلال وعلاقتها بالزوايا الشمسية في كل مناطق العالم المعروفة وهو ما لم يكن متاحا أو معروفا في ذلك الوقت.[3]

إن تنبيه الآية للتفكر والنظر في أسلوب"مد الظل" وما أظهرته الدراسات من اختلاف أطوال الظلال بالنسبة لكل ساعة زمنية على حدة (أي في خط الطول الواحد) عند خطوط

[1] ينظر الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ت:إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر- دمشق-سورية،ط4، 1420هـ 2000م، ج1، ص288.

[2] ينظر القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، ج1، ص82

[3] ينظر إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال، ص13.

العرض المختلفة، يشير بما لايدع مجالا للشك إلى أن الأرض يجب أن تكون مستديرة لا مسطحة، وذلك لأنها لو كانت مسطحة لتساوت أطوال الظلال في نفس التوقيت الزمني عند خطوط العرض المختلفة، وكما هو معروف فإن حقيقة كروية الأرض لم تثبت على وجه اليقين إلا بعد نزول القرآن الكريم بعدة قرون، وهو ما يشير إلى أن آية "مد الظل" تدل بطريقة غير مباشرة على كروية الأرض، وهو من دلائل إعجاز هذه الآية الكريمة.[1]

كما أن قبض الظل يتناسب طرديا مع زوايا ارتفاع الشمس في السماء، فكلما كان ارتفاعها أسرع كان قبض الظل أسرع والعكس صحيح، وأن قبض الظل تماما عند خط الاستواء يستلزم ست ساعات فقط حيث ترتفع الشمس بمقدار 15 درجة في الساعة وهو ما يعنى أن قبض الظل في هذه المنطقة يكون يسيرا بمعنى سهلا غير عسير، أما عند القطبين الشمالي أو الجنوبي فإن قبض الظل تماما يستلزم ثلاثة أشهر، حيث ترتفع الشمس بمقدار 0.01 من الدرجة وهو ما يعنى أن قبض الظل في هذه المنطقة يكون يسيرا بمعنى قليلا وقليلا جدا.[2]

إذن فالظل يتحرك ويتتابع مع حركة الشمس، فتتغير أشكاله، وتكون الشمس دالة عليه ملازمة له، فهذه الآيات قد صورت المشهد اليومي الذي نراه بدقة متناهية وبكل تفاصيله وكما أثبتتها حقائق العلم الحديث.

**ثالثا: الدلالة العلمية من بيان الفرق بين الظل والحرور:**

عند إبرازنا لدرجة التباين بين الظل والحرور التي ضرب الله بها مثلا ليبن الفرق بين المؤمن والكافر أوبين الحق والباطل أوبين الهدى والضلال فسوف نختار مثالا من بين الأمثلة الكثيرة التي تثبت مدى الاختلاف الشاسع بين هذين الوصفين، فعندما نرجع إلى عالم النبات لنبين كيف لا يستوي الظل والحرور فإننا نجد أن علماء النبات يعولون كثيراً على اختلاف صفات الظل عن صفات الحرور في عالم النبات ومن أهمية ذلك فقد قسموا النباتات على

[1] ينظر إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص16.

أساس اختلاف عاملي الظل والحر إلى قسمين كبيرين هما نباتات الظل ونباتات البيئة الحارة والمسمات بنباتات الجفاف، وبالدراسة العلمية نجد فعلاً أنه لا يستوي نباتات الظل مع نبات الحر، فنباتات الظل قد وهبها الله سبحانه وتعالى خصائص حيوية تجعلها تتلائم مع الضوء الخافت القليل والرياح القليلة والانخفاض النسبي لدرجة الحرارة بالمقارنة بالبيئة الحارة المكشوفة، أما نباتات البيئة الحارة فتتعرض للضوء الساطع والحرارة العالية والرياح الدائمة والسريعة[1]

وقد انعكست الصفات الفيزيائية واليميائية والجيولوجية والمناخية والحيوية المختلفة لكل من البيئة الظلية، والبيئة الحارة على الشكل الظاهري والتركيب الداخلي ووظائف الأعضاء وأيض النبات، وهذا ما أظهرته الأشكال الظاهرية والتشريحات الداخلية للنبات.[2]

إن هذا المثال من بين الأمثلة الكثيرة التي تنبه إلى الفارق الكبير بين الظل البارد المريح الذي يقينا حر الشمس ولهيبها، وبين الحرور ذلك الهواء الساخن المؤذي، وقد جاء هذا المثال دالا على المقصد من الآية في بيان الفرق بين المؤمن والكافر، وكذلك مطابقا للحقيقة المشهودة والمحسوسة.

[1] ينظر ولا الظل ولا الحرور، نظمي خليل أبو العطا موسى، موقع إعجاز القرآن والسنة، الخميس/ديسمبر/2019، الرابط:https://quran-m.com

[2] المرجع نفسه.

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

1-يعتبر كل من درسي الإعجاز القرآني البيان البلاغي من المواضيع التي أثارت ألباب العلماء والمفسرين منذ العصور الإسلامية الأولى، فقد اهتم هؤلاء بفهم وتبيان جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، مشيرين إلى براعة القرآن في استخدام اللغة لتوصيل معان عميقة بأسلوب بديع لا يمكن الإتيان مثله.

2-إن دراسة اشتقاقات الظل تكشف عن غنى وتنوع كبيرين في المعاني والدلالات مما يعكس دقة وابداع اللغة العربية في التعبير عن المعاني المختلفة.

3-ترتبط اشتقاقات الظل في القرآن الكريم ارتباطا وثيقا بالسياقات المختلفة ،مما يعكس حكمة الله في استخدام هذه المفردات لتعبر عن معان متعددة تتناسب مع الموضوع المطروح.

4-نجد أن القرآن الكريم يبرز ببلاغته وإعجازه البياني من خلال استخدام أسلوب التشبيه بطرق غنية ودقيقة، حيث يأتي الظل كأحد الموضوعات التي تحمل في طياتها معان متعددة تتجاوز الفهم البشري البسيط.

5-تتنوع أوصاف الظل في القرآن بين الدلالة على الرحمة والحماية وإلى التحذير من العقاب والعذاب والإشارة إلى التدرج في النعم والنقم، وهذا ما أضفى على النصوص القرآنية جمالا وعمقا فريدا، ومازادها جمالا أنها وافقت كل الحقائق الموجودة.

6-تميزت آيات الظل بعمق وبراعة في التصوير، يبرز براعة لغوية لا مثيل لها في وصف الظواهر الطبيعية حيث تناول النص القرآني مختلف جوانب الظل ومعانيه المتعددة ، فتجاوزت هذه المعاني الجانب اللغوي ليتسم بالدقة العلمية ويوافق الحقائق العلمية المثبتة حديثا.

***توصيات:**

**1-**ضرورة مواصلة البحث والتدبر في آيات القرآن الكريم لاستكشاف المزيد من الجوانب البيانية التي تتوافق مع العلم الحديث، وذلك لتعميق الفهم وترسيخ العلاقة بين الدين والعلم.

2-ضرورة الاهتمام بالدراسات العلمية المتعلقة بالقرآن العظيم وذلك من جانب التوثيق لها، وتمييزها عن الدراسات الغير متقيدة بضوابط التفسير.

3-أوصي بمواصلة البحث في آيات الظل التي لم أتطرق لها في هذه المذكرة وإبراز مظاهرها الإعجازية والكشف عما تزخر به من درر بيانية وحقائق علمية.

# الفهارس

1- فهرس المصادر والمراجع

2- فهرس الآيات

3- فهرس الأحاديث

4- فهرس الأعلام

5- فهرس المحتويات

**الفهارس:**

## 1-فهرس المصادر والمراجع:

**أولا: القرآن الكريم برواية حفص.**

**ثانيا: الكتب:**


1. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للعامة للكتاب، ط4، 1394هـ 1974م.
2. الاحتراس في القرآن الكريم، حنان بنت قاسم بن محمد العنزي، ت:صالح بن حسين العايد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة السعودية، ط1، 1434هـ.
3. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تح:شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ، 1988م.
4. أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري ، ت:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، دت.
5. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن، دار المعارف، ط2، دت.
6. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمان، ط1، 2000م.
7. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425 هـ2005م.

8. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد القادر الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425 هـ2005 م.
9. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ت:صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دط، 1420 هـ.
10. البلاغة البيان والبديع، مناهج جامعة المدينة العالمية ،جامعة المدينة العالمية، دط، دت
11. تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، ت: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، ط1، 1420هـ 1999م.
12. تفسير الشعراوي ، الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، دط، دت.
13. تفسير القرآن، منصور بن محمد السمعاني، ت:ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض السعودية، ط1، 1418هـ1997م.
14. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
15. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد الماتريدي، ت:مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ2005م.
16. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق ، ط2، 1418هـ.
17. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،ط1، 1414 هـ، 1993م.
18. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

19. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ 2000م.

20. الجامع المسند، صحيح البخاري ،محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم أحمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1422هـ، رقم:520.

21. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ 1964م.

22. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت، دط، 1987م.

23. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

24. حاشية القونوي على تفسير الامام البيضاوي، عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 2012م.

25. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دط، دت.

26. دلائل الإعجاز العلمي في إشارات التصميم البيئي في القرآن الكريم، يحي وزيري، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دط، دت.

27. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، 1413هـ – 1992م

28. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.

29. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري ،أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ1987م.

30. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن مهران العسكري، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، دط، 1419هـ.

31. الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ت:إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق سورية، ط4، 1420هـ 2000م.

32. علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، دت.

33. على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1438هـ2017م.

34. العمران والبنيان في منظور الإسلام، يحي وزيري، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1429هـ2008م.

35. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن النيسابوري، زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، ط1، 1416 هـ.

36. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان البخاري، تح: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المِكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، دط، 1992م.

37. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

38. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق-بيروت-القاهرة، ط17، 1412هـ.

39. القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، دط، دت.

40. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دط، 1403هـ -1983م.

41. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت:المهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.

42. الكعبة المشرفة، محمد الثقفي، منتدى الرحلات، ط1، 1428هـ2007م.

43. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي، عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، دط، دت.

44. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، دط، 1414هـ.

45. المجتبى من السنن ، السنن الصغرى، أبو عبد الرحمان، النسائي، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ 1986م.

46. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ.

47. المسند الصحيح، مسلم بن الحجاج النيسابوري ،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، رقم832.

48. معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، ت:هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ 1990م.

49. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1408 هـ 1988م.

50. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، دار الفكر العرب، دط، دت

51. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ 2008م.

52. معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية، دط، 1436هـ،2015م.

53. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، دت.

54. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

55. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1407 هـ 1987 م.

56. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضة مصر، القاهرة، دط 2005م.

57. المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، دط، دت.

58. المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، دت

59. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، ت:عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط1، 1420هـ.

60. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، ت أحمد مصطفى فضلية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع ،طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ 2005م.

61. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،دط، دت.

62. النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني، ت :محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف،مصر، ط3، 1976م.

63. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب دار العلوم الانسانية، دمشق، ط1، 1418 هـ 1998م.

64. الوجوه و النظائر، أبي هلال العسكري، ت: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ2007م.

65. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ 1994م .

66. الوصف في القرآن الكريم دراسة بلاغية، موسى سلوم عباس الأمير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2007م.

67. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، دط، 1422هـ 2001 م.

**ثالثا: المجلات العلمية:**

1. إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال، يحي وزيري، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالكويت.

2. الاعجاز في تقسيم الرياح البحرية، صالح بن عبد القوي السنباني، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤتمر العاشر.

**رابعا: المواقع الإلكترونية:**

1. إعجاز وصف الظل والظلال في القرآن الكريم، يحي وزيري، موقع إعجاز القرآن والسنة، الرابط: www.quran-m.com
2. ألوان النار، عبد الدائم كحيل، موقع أسرار الإعجاز العلمي الرابط:www.kaheel7.com/ar شوهد بتاريخ:2024/03/15.
3. الصفحة الرسمية لموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القران والسنة، من صور هيمنة القرآن الكريم وإعجازه العلمي في نتق الجبل، هاشم الطويل، 2021/04/20.
4. صفحة: معلمو اللغة العربية في الوطن العربي، التشبيه التمثيلي، 25 أكتوبر2014م.
5. ما أثر الدخان الأسود على صحة الإنسان، محمد شهابي، مقال في موقع النهار على شبكة الأنترنت بتاريخ:2020/09/12 الرابط:www.annahar//:https
6. موقع الإسلام سؤال وجواب، محمد صالح المنجد 26 ذي القعدة 1430 هـ15 نوفمبر، 2009 م، الرابط:http://www.islamqa.com
7. ولا الظل ولا الحرور، نظمي خليل أبو العطا موسى، موقع إعجاز القرآن والسنة، الخميس/ديسمبر/2019، الرابط:https://quran-m.com

## 2-فهرس الآيات:

| الآية | السورة | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ . . ﴾ | البقرة | 57 | 24 |
| ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ . . ﴾ | البقرة | 210 | 25 |
| ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا . . ﴾ | النساء | 57 | 28، 43 |
| ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ | الأعراف | 41 | 27، 49 |
| ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ . . ﴾ | الأعراف | 160 | 24 |
| ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا ﴾ | الأعراف | 171 | 31، 35 |
| ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ | هود | 42 | 37، 38 |
| ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ | الرعد | 15 | 29 ، 60، 66 |
| ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ | الرعد | 35 | 28، 44 |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ ﴾ | النحل | 48 | 29 |
| ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا ﴾ | النحل | 81 | 29، 56 |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ | الفرقان | 45 | 63، 68 |
| ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ | الفرقان | 46 | 63، 68 |
| ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ | الشعراء | 189 | 31 |
| ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ | القصص | 24 | 30 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ | العنكبوت | 22 | 08 |
| ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ | العنكبوت | 55 | 49 |
| ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ ﴾ | لقمان | 32 | 26 ،37 |
| ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ | فاطر | 19 | 65 |
| ﴿ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴾ | فاطر | 21 | 30 |
| ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ ﴾ | يس | 56 | 18 ،28، 43 |
| ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ ﴾ | الزمر | 16 | 27 |
| ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ | الذاريات | 47 | 46 |
| ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ | الواقعة | 30 | 28 ، 43 ، 47 ،48 |
| ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ | الواقعة | 43 ،44 | 28 ، 50 |
| ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ | الحشر | 02 | 25 |
| ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ | الحاقة | 23 | 47 |
| ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ | المعارج | 40 | 63 |
| ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ ﴾ | الجن | 12 | 08 |
| ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ | الإنسان | 14 | 28، 43، 46 |
| ﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ | المرسلات | 31 | 29 ،52 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ | المرسلات | 32 | 52، 29 |
| ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ | المرسلات | 41 | 43، 28 |

## 3–فهرس الأحاديث:

| طرف الحديث | المصنف الحديثي | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر..» | صحيح البخاري | 21 |
| «صلى العصر، والشمس في حجرتها.. » | المجتبي من السنن | 22 |
| «صلِّ صلاة الصبح. » | صحيح مسلم | 22 |
| «إن في الجنة شجرة، يسير. » | صحيح البخاري | 47 |
| «نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ... » | صحيح بن حبان | 57 |

## 4–فهرس الأعلام:

| اسم العلم | الصفحة |
|---|---|
| حميد بن ثور | 22 |
| عمرو بن عبسة | 23 |

## 5–فهرس المحتويات:

**إهداء** **5**

**شكر وعرفان** **6**

**ملخص البحث** **أ**

**مقدّمة** **ب**

**المبحث التمهيدي: مفاهيم عامة حول الإعجاز والبيان** **9**

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز والمعجزة 9
الفرع الأول: المعنى اللغوي للإعجاز 9
الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي 10
الفرع الثالث: المعجزة 11
المطلب الثاني: مفهوم البيان وأساليبه 12
الفرع الأول: المعنى اللغوي للبيان 12
الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي للبيان 12
الفرع الثالث: مباحث وأساليب البيان القرآني 13

**المبحث الأول: الظل وما تعلق به من مفاهيم** **17**

المطلب الأول: مفهوم الظل: 17
الفرع الأول: المعني اللغوي للظل 17
الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي للظل 20
الفرع الثالث: الفرق بين الظل والفيء 21
المطلب الثاني: الظل وصوره في الاستعمال القرآني 24
الفرع الأول: تظليل الغمام 24
الفرع الثاني: الظلل 25
الفرع الثالث: الظل 28
الفرع الرابع: الظلة 30

**المبحث الثاني: الملامح البيانية والحقائق العلمية في آيات الظل المختارة** **34**

المطلب الأول: جمال وحسن التشبيه 34

الفرع الأول: الملامح البيانية 35
الفرع الثاني: الحقائق العلمية 39
المطلب الثاني: الدقة في الوصف 42
الفرع الأول: الملامح البيانية 42
الفرع الثاني: الحقائق العلمية 54
54
المطلب الثالث: جمال التعبير وبراعة التصوير 60
الفرع الأول: الملامح البيانية 60
الفرع الثاني: الحقائق العلمية 66

**الخاتمة: 73**

**الفهارس: 76**

1- فهرس المصادر والمراجع 76
2-فهرس الآيات 84
3-فهرس الأحاديث 86
4-فهرس الأعلام 86
5-فهرس المحتويات 87